رسائل تُرَدُّ للمُرسِل

(أشباه قصص قصيرة)

عمرو سلامة

** معرفتي **
www.ibtesama.com/v
ديات مجلة الإبتسامة

دار دوّن

مجلة الابتسامة
a.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

رسائل
(تُرَدّ للمُرسِل)

www.ibtesama.com/vb

الطبعة الأولى ديسمبر 2012
رقم الإيداع : 2012/19800
الترقيم الدولي : 9-55 -6426-977-978
صورة الغلاف : نور الرفاعي
تصميم الغلاف : يوسف حماد
تصحيح لغوي : محمود الغنام

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
© دار دوّن

١٨ شارع محي الدين أبو العز - الدقي
تليفون: ٠١٠٢٠٢٢٠٠٥٢
E-mail: info@dardawen.com
www.dardawen.com

www.ibtesama.com/vb

رسائل تُرَدّ للمُرسِل

(أشباه قصص قصيرة)

عمرو سلامة

دار دوّن للنشر والتوزيع

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

إهداء لكل من حاولوا كرهي ونجحوا ..

وكل من حاولت أن أحبهم وفشلت .

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

رسالة للقارئ

بعد كل التحيات ،،،

اتمنى أن تصدِّقني وأنا أقول لك إني أكره مقدمات الكتب أكثر من كره أكثر قارئ كاره لها، لكنها في بعض الأوقات ضرورية، لذا سأختصرها قدر المستطاع.

هذا الكتاب به رسائل قصيرة قد تعتبرها أشباه قصص قصيرة.

كل هذه الرسائل من محض الخيال والدراما، ولا تعبِّر عن رأيي الشخصي، بل عن رأي الشخصية الدرامية للمرسل.. أو على الأقل هكذا أزعم.

الرسائل مكتوبة بمزيج من اللغة العربية الفصحى والعامية، كان الهدف ان اكتب كما افكِّر قدر المستطاع، وأتمنى ده مايسببلكش أي إزعاج!

كتبت معظم هذه الرسائل من عام ٢٠٠٧ إلى عام ٢٠١٠، ربما باستثناء قصة واحدة، ونشرت الرسائل على مدوَّنتي الشخصية حينها.

www.ibtesama.com/vb

الرسائل التي لها بُعد سياسيّ تُثبت وقتها، لكني عندما أنظر إليها ما زلت أظنُّ أنها ملائمة لما نحياه الآن بشكل أو بآخر.

اسم الكتاب مستوحى من أغنية أمريكية قديمة أظنُّ أنني يجب أن أشاركك كلماتها.

الأغنية تقول:

أعطيت الرسالة لرجل البريد
وضعها في حقيبته
وفي صبيحة اليوم التالي
أعادها إليَّ

كتب عليها:
تعود للراسل.. العنوان غير معروف
لا يوجد بيت بهذا الرقم، ولا منطقة بذلك الاسم
حدث تشاحن.. عتاب أحبة
كتبت "سامحني" لكن الرسالة دوما تعود إليَّ

www.ibtesama.com/vb

وضعتها في صندوق البريد
مع ختم البريد السريع
وفي صبيحة اليوم التالي
أعيدت إليَّ مجددا

كتب عليها:
تعود للراسل.. العنوان غير معروف
لا يوجد بيت بهذا الرقم.. ولا منطقة بذاك الاسم

هذه المرة سآخذها بنفسي
وأسلّمها يدا بيد
وإن عادت إليَّ في صبيحة اليوم التالي
سأفهم معنى ما كتب عليها

تعود للراسل.. العنوان غير معروف
لا يوجد بيت بهذا الرقم.. ولا منطقة بذلك الاسم

www.ibtesama.com/vb

الأغنية لإلفيس بريسلي

كتبها وينفيلد سكوت وأوتيس بلاكويل

طرحت فى عام ١٩٦٢

ألم أقل لك إنها ستكون مقدمة قصيرة؟

إمضاء/

المخلص للقارئ دائما

كاتب هذه الرسالة.

www.ibtesama.com/vb

رسالة للريس

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

بعد التحية المبجَّلة المعظَّمة المفخَّمة التي تليق بمقام معاليك وفخامتك،،،

أنا خدامك، واحد من ملايين من محبيك، أنا واحد من رعاياك ومواطنين هذا البلد الذي شرف بك، أكتب لك لأشرح مقدار حبي لك.

أنت مثلي الأعلى، أنت ملهمي ومعلمي وزعيمي وسيدي وولي نعمتي.

حكايتي معك بدأت منذ مولدي، عندما كان جدي يجلس كالصنم يشاهد كل خطبة متلفزة لك، عيناه تملؤهما الدموع، كان يقول لي إنك لم تكن ظالما كارها للأغنياء مثل من كان قبلك فأفقرهم، أو كارها للفقراء كمن جاء بعده فزادهم فقرا، كان جدي مكروها من الاثنين، كان غنياً فأفقره الأول، وأتى الثاني ليقوم بإفقاره أكثر، لذا كنت أول زعيم لم يكرهه جدي ولم يفقره، ولم ينسَ لك هو هذا الجميل، وكان يرى أنك هِبة الرب لنا بعد كل هذه القرون العجاف.

مات جدي بسبب الخرف الذي ظهرت أعراضه تدريجياً، ورثت منه الكثير، ربما باستثناء هذا الخرف، كنت نسخة مكررة منه بشهادة الجميع.

www.ibtesama.com/vb

عندما علمت منه أنك كنت جنديا كان حلمي ومناي أن ألتحق بالكلية العسكرية مثلك، لكن هذا كان جنوناً مني، كيف يظنّ عبد فقير مثلي أنني قد أكون مثلك، بالطبع لم يتم قبولي في الكلية العسكرية؛ بسبب وضعي الاجتماعي، شكرتهم على هذا، حتى لا تلطّخ هذه الكلية بقدمين "مقشفتين" مثل قدمي.

لكني التحقت بهذا الجيش العظيم بمقام يليق بي، كعسكري مجنَّد بعدما انتهيت من دراستي معهد متوسط في محافظتي الفقيرة، وعندما دخلت كنت سعيداً بكل يوم وبكل نومة أنامها هناك، وبكل أكلة وحتى بكل إهانة من أي رتبة أعلى مني؛ لأنني فقط في مكان قد تكون مررت عليه يوما.

كنت كثير العمل قليل الكلام، أشكر ربي في كل لحظة على كرمه علي، لقد كنت -يوميا- أمسك زجاج وبراويز كل صورك التي ملأت المعسكر، وأمسحها بعناية تامة حتى لا يبقى عليها ذرة تراب واحدة.

في يوم ما حدث ما كنت لا أظن يوما أنه قد يحدث، في منتصف الليل، وبينما كنت في سابع نومة أيقظني أحد روساني، وأمرني بأن أرتدي ملابسي بسرعة البرق وأذهب إلى المخزن، ذهبت لأجد أحد المجندين الذي يسبقني سنا ورتبة يعطيني صندوقا كبيرا وثقيلاً كدت أقع وأنا أحاول إمساكه، أمرني بأن أذهب به بسرعة البرق لمطار قريب من

www.ibtesama.com/vb

معسكرنا، أكد لي أن المهمة سرية.. ها هي المهمة السرية التي طالما حلمت بها لخدمة الوطن؛ كي أثبت بها تفانيَ كجندي يحب بلده وقادر على القيام بالواجب السامي. أخذت قراراً داخلياً أن أنتصر أو أستشهد وأنا أنفّذها.

قال لي المجند إنه لا توجد الآن سيارات متوفرة، لذا يجب أن أسير على قدمي -اللتين ما زالتا مقشفتين- إلى الطريق العام وأركب أي مواصلة - على حسابي الخاص- وهو ما أتشرَّف به من أجل الوطن، وأن أذهب لأقرب نقطة للمطار، ثم أسير إليه لأجد من ينتظرني هناك.

حاولت السير جاهدا مع ثقل حجم هذا الصندوق، كنت أتعثَّر، ولكنني كنت أقف مجددا وأكمل السير وأنا أتذكر كيف سار جنود هذا الجيش العظيم وقت الحرب، كيف ساروا وقت النكسة مئات الكيلومترات دون أي مؤن فقط لينجوا بحياتهم.

كانت هذه الأفكار تعطيني قوةً وجلداً وتجعلني أتحمل أي شيء لأصل لغايتي وأكمل مهمتي؛ لأكون جندياً مشرّفا لجيش عظيم، ولبلد عريق.

قابلت كلباً مسعوراً في الطريق، كم أكره الكلاب وأخافهم، حاولت أن أخفي خوفي منه، لكنه اشتمَّ رائحة خوفي وهجم عليَّ بوحشية، لم أحاول

www.ibtesama.com/vb

أن أقاومه، فقط استبسلت في حماية الصندوق، قام الكلب بعضي في قدمي فصرخت، لكنه بعد العضة مباشرة تركني وركض بعيدا، ظننت أنه تقزَّز من طعم دمي، ربما لأنه عرف حقيقتي قبل أن أعلمها أنا.

وصلت للطريق بعد رحلة عسيرة، وأنا أسير على جرحي الذي كان عميقا، إنتظرت أي مواصلة تمرُّ، ولكن الوقت كان متأخرا جدا ولم تمرَّ عليَّ أي مواصلة، كنت أعلم أن الوقت يمرُّ بسرعة ويجب أن أصل قبل الوقت المحدد لي، قررت أن أركب سيارة أجرة حتى لو أخذ مني سائقها كل ما في جيبي.

وجدت سيارة أجرة فعلا، ركبتها وتأملت سائقها، كان سبّاباً متذمراً وكان -أستغفر الله العظيم- يتكلم عنك بكلام ليس فيك، نهرته وسببته، ودافعت عنك، وكنت مستعداً لقتله حتى يتوقَّف، فأنزلني وقال لي إنه لن يكمل طريقه معي، وأصرَّ على أن يأخذ أجرته وإلا أخذني إلى القسم، ولولا الواجب والمهمة لكنت ذهبت معه لجهنم، لذا دفعت له أجرته وغادر، وبعدها اكتشفت أنني نسيت هاتفي المحمول -الرخيص- في سيارته، حاولت أن أجري خلفه، ولكنني تذكرت الصندوق فلم أغادر مكاني واستعوضت ربي في الهاتف، وقلت إنه مجرد نقطة في بحر ما يجب أن أقدمه للوطن.

www.ibtesama.com/vb

كنت أجري بسرعة لأصل للمطار، وقعت عدة مرات، تقطع بنطالي - بسبب عضة الكلب وسقوطي المتكرر- وسالت عليه دمائي، لكنني وصلت أخيرا للمطار، عندها رآني أحد الضباط بشكلي هذا، بملابسي الرثّة المتربة، فنهرني، وظن أنني تأخرت؛ لأنني توقفت لألعب مباراة كرة قدم في طريقي، أقسمت له إنني لم أتنفس -حتى- لأصل في ميعادي، ولم يصدقني، ووعدني بجزاء يناسب ما فعلته، لكني ظننت أنه نوع من العدل الإلهي، قد أكون قصَّرت يوما في حق بلدي، فبلدي تعاقبني بطريقتها العادلة الذكية.

طلب مني أن أركب الطائرة، لكني أخاف الطائرات، لكنني أيضا رجل، يجب أن أتغلَّب على مشكلة تافهة كتلك، ركبت الطائرة، أنا والصندوق، لأجد أنه لا يوجد كراسي بها ولا حتى دِكك، كنت أنا والصندوق فقط، جلست على الأرض ودعوت بكل دعاء أعرفه، وقرأت كل آية قرآنية أحفظها، وتحركت الطائرة لأجد نفسي كأنني شراب قديم بمفرده داخل غسالة فول أوتوماتيك.

تقيَّأت عدة مرات، ولكني كنت شديد الحذر ألا يصل شيء من تقيؤي للصندوق، وكنت أحميه بكل ما أملك من عزيمة وإصرار، ظللت طوال الرحلة أحاول أن أشتت انتباهي عن شعور الدوار، كنت أحاول التوقُّع بحدس العسكري المصري -خير أجناد الأرض- ما قد يكون داخل

www.ibtesama.com/vb

الصندوق، هل هو سلاح حربي سري جديد؟ هل بداخله مستندات وخرائط عن أرض العدو؟ هل بداخله جثة أسير من أحفاد القردة والخنازير؟

عندما ركبت الطائرة لم أهتمَّ بأن اسأل أين تأخذنا الطائرة، لكننا بعدما نزلنا وشعرت بحرارة الجو أدركت أنه مكان بعيد عن القاهرة، وبعد عدة دقائق وبعد ركوبنا سيارة قديمة متهالكة -أنا أعرف أن هذه السيارات هدفها مخابراتي بحت، لنجعل العدو يظنُّ أن ما نملكه من عتاد قديم ومتهالك كتمويه، حتى لا يعرف قوتنا الحقيقة وعتادنا المتين المخزن في مخازن سرية- اكتشفت أننا في أسوان.

بعد رحلة طويلة في هذه السيارة شعرت بوجع شديد في بطني، وجع يفوق وجع العضة الذي لم يذهب أو يقلّ، أدركت أنني لم آكل شيئاً منذ ظهر أمس، أي منذ حوالي عشرين ساعة، هذا مع العلم أني تقيَّأت كثيرا، إذن هذا شعور الجوع اللعين، لكن من أنا لأعكر صفو هذه الكتيبة وهذه المهمة لأطلب طلبا بهذه الأنانية.

وصلنا لمسرح قديم، الكل يعمل فيه على قدم وساق، من الواضح أنهم سيحوِّلونه لصرح عظيم، سمعت أحدهم يقول شيئاً كنت أظن أنني ساحيا

www.ibtesama.com/vb

واموت قبل أن أسمعه، قال "كله يشد حيله علشان ماتقصّروش رقابينا قدام الريس".

علمت أنك ستأتي لمكان أنا به، سأراك بعيني المجردة، دون براويز أو داخل حدود التلفاز.

كاد قلبي يتوقف من فرط الحماس، أتى لي أحد الضباط وطلب مني أن افتح الصندوق.

بعد لحظة من الرهبة فتحت الصندوق أخيرا، ووجدت داخله ما هو أثمن من كل توقعاتي، وجدت به سجادة، نعم سجادة، ولكنها ليست كمثل أي سجادة أخرى، إنها سجادة مزخرف عليها وجهك الكريم.

بدأت في فرد السجادة وقتما أتى الحرس، وطالبوا بإخلاء المكان تجهيزا لتامينه، قالوا محذّرين إن من سيظل بداخله سيظل إلى أن يأتي الرئيس ويغادر.

ماطلت في فرد السجادة وتعليقها في مكان خُصِّص لها حتى أظلَّ بالداخل وأراك، وفعلا بقيت وأغلقت الأبواب عليَّ لأجد نفسي في هذا المسرح،

www.ibtesama.com/vb

دون أكل أو فرصة للذهاب للحمام لأن الحمام بالخارج، علمت بأنني سأظل هنا حتى تأتي.

أتيت أنت بعد اثنتي عشرة ساعة، ظللت أعدُّ فيها الثواني واللحظات حتى تأتي، وأنا جالس على الأرض مقرفص، ويداي على رأسي كما طلب مني الحرس الذين تشرَّفت برؤيتهم.

أتيت وتركنا الحرس، ووجدت نفسي وحيدا خلف السجادة التي كانت في عمق المسرح، أمامها عرض يبجِّل فيك، ويتغنَّى عن بعض إنجازاتك، وأنت أمامهم في الصف الأمامي تنظر بفخر يمتزج معه تواضعك المعهود.

من ثقب بسيط كنت أرى وجهك، كيف لأحد على هذا الكوكب أن يتهمك بالظلم لا سمح الله؟ كيف يتطاول عليك هؤلاء الكفرة والملاحدة وناكري النعمة، كيف وأنت هبة الرب لنا؟؟ نحن لا نستحق حتى أن ننظر لوجه كوجهك، كل هذه الأفكار أتت لي وأنا أتأملك ناسيا كل الجوع والألم والدماء التي لم تتوقَّف عن النزيف من قدمي، كانت أكثر لحظة ممتعة مرت عليَّ في حياتي.

www.ibtesama.com/vb

شيء واحد فقط حدث عكّر صفو هذه اللحظة التاريخية الخالدة، هذه اللحظة التي لم أحلم حتى في أكثر أحلامي خيالية، وأتمنى أن تسامحني على ما سأقوله.

بسبب أنني لم أدخل الحمام منذ أكثر من يوم ونصف وجدت نفسي كالأطفال أتبوَّل ولا أستطيع أن أمسك نفسي مهما حاولت، تبوَّلت داخل بنطالي، لكن التبول تجاوز البنطال بسبب تهالكه وتسرَّب إلى الأرض.

المشكلة الحقيقية أن ماء البول تحرَّك بسبب إعوجاج الأرض وأصبح يقترب من السجادة التي كنت مستعدا أن ادفع عمري من أجلها.

لوَّث بولي الحقير هذه السجادة السامية.

من يومها وأنا أبكي كل يوم على خطئي هذا الذي لم يعلم به أحد غيري، إحساسي بالخجل والعار يفوق الوصف، تأنيب الضمير يكاد أن يقتلني.

أصابني تأنيب الضمير بحالات من الهلع والتشنُّج والهلاوس المَرَضية، أصبحت أرى وجهك أمامي في كل مكان ينظر لي بلوم ودونية واحتقار، ليس فقط لأني فعلت فعلتي الشنعاء تلك، بل أيضا لعدم اعترافي بها.

www.ibtesama.com/vb

بسبب كل ذلك وجدت نفسي هنا، في العنبر الثاني، الدور الرابع، مستشفى العباسية للأمراض العقلية، كانت تراودني بعض الأفكار للتمرُّد والاعتراض على ما وصفوه بالخبل والجنون، لكنني لم أفعل، ربما هذا هو العقاب الرباني الذي انتظرته كثيرا وأستحقه..

لكن كل أنواع العقاب والإهانات هنا لم تُرِخ ضميري ذرة واحدة، ما زلت أشعر بأنني أسوأ وأحقر من خلقه الرب.

فكَّرت في الانتحار كثيراً، ولكن خوفي من الله وأن أترك الوطن والواجب منعني. لذا أكتب لك معترفا بإثمي، عسى أن ترى -أو يرى من تنيبه- نوع العقاب الذي أستحقه.

مهما كان عقابك لي سأكون مستحقا لما هوأسوأ منه، فلا تدع كرمك وسماحتك تمنعك من أن تقيم العدل لأني أعلم أن العدل هو الشيء الوحيد الذي يشغلك.

لن يكفي أسفي لكنني آسف، بكل ذرة في وجداني أتأسف لسموُّك.

إمضاء/

مواطن بكامل قواه العقلية.

www.ibtesama.com/vb

رســـالة

لسيادة المسؤول

٢٣

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

بدون تحية،،،

سيدي المسؤول، أتمنى أن تكون عارف نفسك وتبطّل استهبال، لو مش متأكد إنك إنت اللي أنا أقصده، اقرأ رسالتي كويس وهتعرف إنه إنت، لو حسّيت بعد ما قريتها إنه مش إنت اللي أنا أقصده، ده هيكون لسبب واحد، إنك مش قادر تواجه نفسك بالحقيقة، وقدرت بعبقريتك تلزّق التهم دي في أي حد غيرك، حتى لو كان الحد ده الشعب أو الظروف أو ربنا.

أنا باحمّلك المسؤولية كاملة على كل حاجة ماقدرتش ألاقي حد غيرك يتحمّل مسؤوليتها، ساعات كنت باحسّ بتأنيب الضمير، وأقول ما يمكن هو فعلا حاول وطوّر وبنى وغيّر وحلف القسم وحيّا العلم، بس بعدها باقول لأ، لو كل واحد عمل كده، مافيش حاجة هتتصلح، لازم نعرف الغلط مسؤولية مين، وأنا عرفت وباعتلك الجواب ده علشان أقولك.

إنت المسؤول الأول والأخير عن طفولتي الكئيبة، كئيبة علشان مليون حاجة مافيش حاجة منهم إنت مش مسؤول عنها، من أول كوكي كاك والأشكيف اللي كان فعلا مخيف، ألوان المسلسل الباهتة وبعدها قمة الكآبة بقى في حديث الروح ثم موسيقى نشرة التاسعة اللي لما كانت بتيجي كانوا بيضطروا يبعدوا عني كل الآلات الحادة عشان ماقطّعش شراييني.

www.ibtesama.com/vb

ليه أتعلّم غسيل الأسنان بفرشة عملاقة مرعبة وأغنية لحنها كئيب بتقولي "الصف التحتاني من تحتيه لفوقيه، والصف الفوقاني من فوقه لتحتيه"؟ شايف الأطفال الكئيبة زيي في الخلفية ناقص يموتوا من كثر الكآبة، وهما فاكرين إن سعد نبيهة ده هو بابا نويل المصري اللي هيخليها ذكرى جميلة لبعد العيد.

ليه الفصل كان كئيباً؟ ومجلة الحائط حرفها على طول مقطوع؟ وليه الدكة كان فيها مسامير بتعوِّرني؟ ليه الفصل اللي كان بيستحمل ٣٠ تلميذ حاطين فيه ٨٦؟ ليه كان في مقلب زبالة جنب المدرسة؟ بيتحرق كل يوم ويجيبلي كل يوم صداع بسبب جيوبي الأنفية، يمكن جيوبي الأنفية الحاجة الوحيدة في رسالتي اللي مش مسؤوليتك.

ليه برنامج حياتي؟ ليه بقلز؟ ليه بقى مزيكا برنامج العلم والإيمان والأذان كانت مرتبطة بالناي والعود الكئيب؟ هل كانت دي مثلا طريقتك علشان تقولي إن الدين يكئب؟

ليه سمحت للعشوائيات إنها تكتر؟ نصحى نلاقي مرة واحدة معظم القاهرة بقت عشوائيات؟ يا سيدي طب ليه شارع فيصل والسودان شكلهم عامل كده؟ عمرك ما عديت عليهم في حياتك؟ ولا علشان لما كنت بتعدي كان دهان الرصيف اللي بيتدهن قبلها بيوم بينسيك المنظر؟

www.ibtesama.com/vb

ليه لما رُحت القصر العيني وباقي المستشفيات الحكومي لقيتهم كده؟ أشبه بالمحارق النازية اللي بنشوفها في أفلام الابتزاز العاطفي الأمريكية؟ كأن تمرجيتها ظباط جيش الرايخ الألماني؟ والأطباء محققين جستابو محنِّكين إلا من رحم ربي؟ عمرك ما صحيت وشفت كام واحد مات النهارده؟ ما حاولتش تسأل نفسك ليه؟

طب سيبك.. عمرك ما قريت جرايد معارضة؟ طب لو قريتها، عمرك ما صدقتها؟ ولو مقتنع إنهم "بيأفوروا"، عمرك ما حسيت إنهم مرة ممكن يكونوا غلطوا وعندهم حق؟ والله أنا ساعات باقول يمكن كل يوم عندك جنب بيتك المعزول مطبعة بتغير المقالات في كل الجرايد وتوصلك نسخة معدَّلة فيها أخبار من نوع "أزمة تكييف ودفاية لكل فيلا انتهت"، و"عمروديات يرفض دويتو غنائي مع مادونا"، و"المعارضة تعلن تأييدها لسيادتك".

ده غير الفضائيات، قلت أكيد بتوصلك عليها شريط صوت ثاني، مش ماشي مع البق زي الدوبلاج الرديء بتاع المسلسلات المكسيكية، بيقول كلام جميل ومغيَّر حتى كلمات الأغاني.

باحمَلك المسؤولية كاملة عن إفساد الذوق العام، ما هو إنت والمسؤولين التانيين عُمركم ما شكلكم مش هيبقى على مزاج وذوق الناس وشاذ

www.ibtesama.com/vb

طول ما الناس ذوقها كده، تعدي تشوف العماير شكلها كده يقبض القلب، أخضر في بمبه في أحمر، ولمبات نيون ملونة تثير الغثيان محتاجة موتيليوم، صاحبها مقتنع إنه بيكاسو الذي لم يُكتشف.. حتى برج القاهرة بقى شبه التاكسي، التاكسي اللي بقى شكله أسوأ من الميكروباص، الاتنين مشغلين أغاني والله العظيم صوت الكلاكسات أرحم منها بكثير.

مسؤولية مين إن كل ده مش مسؤولية حد غيرك؟ كنت أتمنى إنها تكون مسؤولية أمي بس مع الأسف أنا عارف أمي كويس ومتأكد من براءتها، ربما باستثناء تربيتها ليّ بهذا الشكل اللي خلاني شايف العيوب دي ومش قادر أتجاهلها.

على فكرة، إنت المسؤول كمان عن خوفي وخوفنا وخوفهم منك ومن المسؤولين أصحابك، واللي تحتيك اللي مسؤوليتهم أقل، خوف كل جيلي من أي حاجة ليها دعوة بيك، خوفنا إننا لو تدينّا هنبقى أكيد إرهابيين وهنتشد، لو بقينا فناتيين أكيد هنكون منحلّين، لو عايزين نبقى أغنياء لازم يا نكون منافقين موالين من بتوع موافقة يا إما بقى هيتسربلنا شريط سيكوسيكو اتصور لنا مع المدام، وهيفتكروا لنا قضية منسية وهانخشّ السجن، لو بقيت غلبان ورضيت بحالي هاتهزق في اللجنة (الكمين) قدّام المدام برضه، ولو اعترضت هاتشدّ برضه وأروح أقابل الإرهابي والغني في السجن.

www.ibtesama.com/vb

لو سافرت وخرجت من داري خايف أتهان ويتقلّ مقدلري؛ لأنك مش هتجيبلي حقي، ومسؤولينك اللي هناك مش هيردوا عليّ.

في نفس الوقت أحمّلك المسؤولية إنك حبيتني في البلد دي، سمّعتني جملة "دي مصر يا رأفت" مصاحبة بموسيقى عمار الشريعي المؤثرة، خليتني كل ما يتقال اسم مصر قلبي يتنفض وكل ما أسيبها أحسّ إني مت.

أحمّلك مسؤولية إنك عمرك ما حبيتني في النظافة وفي البهجة مثلا، عمرك ما ورّيتني شارع نظيف أخاف أوسخه، عمرك ما حسستني إن دلوقتي فيه أمل لحاجة كبيرة فخليتني أفحت نفسي شغل، أو عملت هدف موحد لينا كلنا كل شوية يحسسنا إننا واحد وينسينا اختلافاتنا واضطهادنا لبعض، أو أحسّ إن مافيش مشكلة خالص، فآخد أبسط حقوقي وأمشي في الشارع بس... مبتسم.

إنت السبب برضه إن أي حاجة كويسة بتحصل بتكون حصلت على سبيل الصدفة، أو غلطة، لا يمكن أهنيك عليها أو أدّيك أي تقدير بسببها، كاس الأمم اللي بنلخده صدفة، محافظ عدل يظبط محافظته صدفة، نوبل زويل والبرادعي ومحفوظ صدفة، عمر سمرة صدفة، لما حد بينجح بقى ده استثناء من القاعدة، لما حد يعمل شغله من غير فساد ويبقى عنده

www.ibtesama.com/vb

ضمير بيظهر على إنه ملاك بجناحات وهالة فوق رأسه بالمقارنة باللي حواليه.

لو إنت مش المسؤول عن انهيار الأخلاق البشع ده، يبقى مين المسؤول عن إن العيال ماشية بأمواس في بقها؟ بتتحرش بما يسمون الآن بالمتحجبات في الأعياد؟ بتشم كوللة، بتضرب بانجو، أقصى طموحها إنهم يكرروا إيفيهات اللمبي؟

لو إن الناس مسؤولة عشان بيخلّفوا كتير، مين المسؤول إنه ما استغلش تعدادنا ده صح وخلانا زي الصين وبقى سبب قوة مش ضعف؟ مين المسؤول إنه خلاهم جاهلين بيخلّفوا كتير وماعلمهمش؟ أو علّمهم علام خلاهم مش فارقين كتير عن اللي ما اتعلّموش؟

مين المسؤول عن الإحصائيات اللي بتفضح نسبة الأمية والفقر؟ ده حتى الإحصائيات بقت بتقول إننا من الأكثر فسادا واكتئابا وتحرشا في العالم، وهذه حقيقة إحصائية أنا مسؤول عنها.

لو إن الناس هي المسؤولة علشان كسلانين ومرتشين وبيقولوا "وأنا ما لي" على أكثر الحاجات اللي ما لهم فيها، مش ده عشان إنت نفسك

www.ibtesama.com/vb

بتقول أنا ما لي بس بشكل تاني؟ بإنك بتشيل المسؤولية من عليك وبتحمّلها على الناس والظروف.

باحمّلك مسؤولية الزحمة، خصوصا أنها أهم أخطائك، عارف ليه؟ لإنك مش ذكي، الزحمة ديه أكثر حاجة ضدك؛ لأن الناس المزنوقة كل يوم كذا ساعة في الزحمة مش بيعملوا حاجة غير إنهم بيسمعوا الكاسيت والراديو وهم زهقانين، طهقانين، محمّلين بمشاعر سلبية، بيفكروا كتير، بيصبُّوا مشاكلهم كلها على المسؤولين؛ لأنهم صمّموا الشوارع غلط، لأن المرور سايب، لأن القوانين مابتطبَّقش، ده بيخليهم في وقت الزحمة ده يحملوكم المسؤولية أكثر على كل حاجة وحشة بتحصل لهم في حياتهم، من أول رغيف العيش لحد صفر المونديال، صدِّقني الزحمة أكتر حاجة بتخليهم يكرهوكم بعد ما بيكرهوا نفسهم وعيشتهم.

مين المسؤول إن المرتبات هنا أقل بكثير من أي مرتب ممكن أي حد ياخده في أوروبا أو أمريكا أو الخليج، لأ والأنيل إن الحاجات هنا سعرها أغلى، هل ده يعقل؟ العربية بثلاثة أضعاف سعرها هناك وأنا باخد عُشْر مرتبه، ده غير الملبس والمأكل والمنزل؟ ده بورتو السخنة الأسعار فيها بقت أضعاف أسعار نيويورك، واللي يجننك... برضه بتتباع!

www.ibtesama.com/vb

مين المسؤول إن رجال الأعمال والمال أصبحوا هم أصحاب السلطة الحقيقيين وهم اللي بيمشوا البلد واللي خلى أصحاب السلطة عندهم مال كثير لا يمكن يخش لهم من سلطتهم بشكل شريف؟

مين اللي وقع العمايِر؟ غرق بواخر الحجاج؟ غرق قوارب الطفشانين؟ ظلم العمال؟ خلى الموبايل أهم للفلاح من الفاس؟ الدِش أهم للعشوانيات من الدُش؟

مين المسؤول عن جيل كامل مقتنع إنه مش مسؤول؟ جيل مقتنع إن اللي جنبه دائما هو المسؤول؟ أصبح ماحدش بيغير خالص؟ كل واحد بيستخدم كل فكره ووقته وذكائه إنه يلبس اللي جنبه إنه المسؤول، ده يقول "إنت المسؤول عن إن الشارع مافيهوش صندوق زبالة فعشان كده أنا رميت على الأرض"، فترد لي سعادتك: "لأ لما حطينا صندوق الزبالة لقينا الناس كلها برضه بترمي في الشارع عشان دي مش ثقافتها"، قال لك: "ما هو علشان الشارع كله زبالة فماجتش عليّ أنا مش هاوسّخ حاجة، وبعدين إنت ماحاولتش تغيِّر ثقافتي"، فقال لك "ما هو علشان كلكم ما بترموش في صندوق الزبالة، فأصبح الشارع كله زبالة كبيرة فهاغير ثقافتك إزاي وإنت أصلا زبالة؟"، فالثاني قاله: "ما أنا بادور على صندوق زبالتك بالساعة في أرقى الأحياء، فبلاقيها أصعب

www.ibtesama.com/vb

ما ألاقي فرع لسيلانترو أو ماكدونالدز"، والبيضة عند الفرخة، والفرخة عايزة ديك، والديك عايز الفرخة، والفرخة بتيجي من البيضة!!

مسؤول بقى بذكائك الخارق إنك خليتني مش عارف حتى أقول إنت مين، رئيس ولّا وزير ولّا جيل ولّا حدّ في الدرا شرير إحنا مش شايفينه ولا عارفينه، ولّا عقاب من ربنا ولّا مؤامرة صهيونية على رأي سواقين التكاسي، ولا هو إنت اللي أنا أقصده.

بس أنا باطلع لك لساني وأقولك نيابة عن جيلي.. إننا كلنا هنكون من النهاردة مسؤولين، هنقولكم إننا أحسن منكم مع إنكم بتتريقوا علينا، هنقولك إننا مش ناويين نلوم تاني، عرفنا إنك اتفضلت واتكرمت وعلّمت علينا وشّ وضهر، بس خلاص، مش هنضيّع وقتنا في إظهار عيوبك أو في جَلدك على جرانمك، إحنا من النهارده مسؤولين عن اللي جاي، ومسؤولين إننا نتعلّم من أخطائك.

باقولك، كل واحد فينا مش بس هيكون ثورجي، يزعّق وينادي أن تسقط أنت واللي زيك، بالعكس، هنشتغل ونجتهد، ونتعلّم، الأهم إن اللي هيتعلّم هيعلّم، هنساعد، هنبني، هنحسّن، هيبقى لينا صوت، مش علشان نشتم بيه، بس علشان نختار بيه، هيبقى عندنا أمل، مش علشان نحلم بيه، بس علشان نحققه، هيبقى عندنا حلم، باللي مش هنقدر نحققه بس اللي

www.ibtesama.com/vb

بعدنا هيحققه، هيبقى عندنا فلوس، لا هي رشوة ولا سارقينها، هيبقى عندنا حضارة، حقيقية مش مستلفينها من بره أو من اللي قبلنا، هنعمل سمعة، نفتخر بيها ومش هنتعرّ منها، هيبقى عندنا مسؤول، واحد منا، ننقده، يسمع لنا، نحبه أو نكرهه مش فارقة، هيكون موظف عام بدرجة رئيس، أصاب ياخد مرتبه وفوقيه العلاوة، أخطأ يُحاسب أو يُفصل.

ممكن حتى لو واحد بس منا، ماحدش خلاه مسؤول بس هو حطّ على نفسه المسؤولية، حاول يغيّر، يلاقينا مسؤولين معاه عن التغيير، التغيير طول عمره جه من فكر بني آدم واحد، فكره كان كشاف بطاريات نور للي حواليه العتمة، الرسل جم كل واحد لوحده، مانزلوش كلهم مع بعض، نشر كل منهم دين وحارب معتقدات مش بس سياسات وغيرهم، التاريخ هيفتكر غاندي وجيفارا ولوثر كينج، أكثر ما هيفتكر شعوبهم، هيفتكر إنهم حرّكوا شعوبهم وشعوبهم معاهم شالوا المسؤولية وأنا أقول لك إن أنا وجيلي مش أقل منهم.

واللي في جيلي مش هيعمل زينا، هيبقى مسؤول برضه عن اللي هيحصل لنا.

المرسل /

واحد بلّغ ومش مسؤول.

www.ibtesama.com/vb

رسالة للمكان

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

محبوبتي،

أكتب لك أخيرا، بعد أن أحببتك كل هذه الأعوام في صمت، قد تكوني تعلمين كم أحبك، ولكن من المؤكد أنك لا تعلمين مقدار حبي لك، لهذا وأخيرا وليس آخرا قرَّرت أن أصف وأشرح وأعلِّل أسباب حبي لك ومقدار هذا الحب الذي قد يصفه البعض بالأعمى أو الأفلاطوني ولكني لا أهتم؛ لأنني أتمتَّع وأتلذذ بحلاوته، وليقُلْ من يقول وليعترض من يعترض، ولسوف يجعلني هذا أحبك أكثر؛ لأنني أغار عليك أصلا لو أحبك أحد بمقدار حبي لك.

لماذا أحبك؟ هذا سؤال أسأله لنفسي كثيرا، وتندفع الإجابات كالشلال المحتبس لقرون خلف سدٍّ منيع.

هل أحبك لأنني وُلِدت وتربيت بعيدا عنك؟ أفنيت بدايات عمري في مكان لا أحسُّ معه بالانتماء والتوحُّد؟

لأنني في طفولتي كنت أجلس وحيدا في هذا المكان البعيد في صمت، في بلد لا أعرف فيها غير أبي وأمي وإخوتي وبعض الأطفال في المدرسة الذين لا يتكلَّمون كما نتكلَّم في بيتنا، عندما آتي إليك أشعر أن الكل يتكلَّم كما أتكلَّم وأجد أشخاصا يحبونني، مع أنني لا أعلم من هم لأكتشف أن

www.ibtesama.com/vb

هذه عمتي وهذه خالتي وهذا عمي، وأجد أولادهم في سنِّي مستعدين لأن يلعبوا معي والتكلُّم مثلي.

لأن بيتنا هناك لم يكن يزوره الزائر إلا نادرا، لكن عندما نأتي إليك تصبح البيوت مزدحمة ببشر مبتسمين وصوتهم عالٍ.

حتى بعد أن كبرت بعض الشيء وصدمت بكل من حولي، إنهم يتكلَّمون نفس لغتي وبنفس لهجتي، لكني غريب وسطهم، ينظرون إليَّ بحقد طبقي أو بفوقية طبقية، أظنهم يحبونني لكني أجدهم يُكمنون لي الضغائن والشرور، لكني أتذكَّر زملائي القدامى الذين لم أكن أفهمهم أيضاً، وأقول لنفسي "المر فيه الأمر منه" وأرضى في لحظة.

لأنني عندما أتيت كان أبي يتلذَّذ بسرد ذكرياته في كل مكان فيك، كان يحكي لي أن هنا كان يذهب للجامعة ورأى جمال عبد الناصر لأول مرة، هنا كان يعيش مع خالته وهو في الجامعة، هنا مات السادات، هنا أول وظيفة له، هنا سكن عندما كان، هو وأمي على الحديدة في بداية حياتهما.

لأنني وجدت أقاربي موزَّعين بطريقة متوازنة على أحيائك، ففي كل حي قريب أو صديق أربطه بهذا المكان.

www.ibtesama.com/vb

لأنني عندما دخلت أول مدرسة فيك صُدِمت أننا نجلس مع البنات في نفس الفصل -تعلمين أنني وُلِدت وتربيت في بلد عربي حيث كانت البنات كاننا محرماً من أصله- وأحببت لأول مرة وأنا في السنة الخامسة ابتدائي بنت اسمها إيمان، أتذكَّرها لوقتنا هذا، أتذكَّر شكلها، أتذكَّر أنه بعد إجازة نصف السنة أتت والحجاب على راسها، كنت أظن وقتها أنه رداء إجباري فقط في البلد الذي كنت فيه، ولكن في مصر هو للسيدات الكبيرات في السن فقط، مرَّت السنة ولم أتكلَّم مع إيمان ولو مرة واحدة، لكني ظللت أحبها لأنني في إعدادي دخلت مدرسة للأولاد فقط فلم أرَ بنات أخريات.

كنت فيك ولكني كنت جانعا للطواف بشوارعك؛ لأرى ما بها من اختلاف، لا يشبه شارع فيك الآخر -باستثناء بعض مناطق المعادي- وأشعر أن كل شارع فيكِ مبنيٌّ في زمن غير الآخر، له قصصه المختلفة عن أي شارع آخر، به أشخاص مختلفون عن الشارع الآخر، كنت لا أستطيع من قبل أن أطوف بتلك الشوارع بسهولة؛ لأن مدرستي كانت أمام بيتي مباشرة، كانت أمي لا تسمح لي بالخروج بمفردي مطلقا، إلى أن وصلت الثانوية العامة وأصررت أن أذهب لمدرستي بالدراجة، لكي أذهب إلى المدرسة وأرجع منها كل يوم من طريق مختلف، حتى أصبحت آخذ طرقا مطوَّلة جدا؛ لأرى أماكن جديدة لم يُسمح لي من قبل بالذهاب إليها.

www.ibtesama.com/vb

تلذَّذت بعدها أن أركب الميكروباص والمترو لأماكن لم أذهب لها من قبل، أين الكوربة؟ أين روكسي؟ لماذا أنزل في محطة فاتن حمامة؟ لماذا سُمِّيت بهذا الإسم؟ هل كانت تسكن هنا؟ آه.. الميرغني هو نفسه الشارع الذي كان يتمشَّى فيه عبد الحليم حافظ في الوسادة الخالية مع لبنى عبد العزيز.

عندما استوليت على سيارة والدي قهرا واقتدارا ووضع يد، أصبحت أسأل كل من أراه -حتى من لا أعرفه جيدا "إنت ساكن فين؟" فيجيب: "حلوان"، فأردُّ دون تفكير: "في طريقي هاوصلك!" وأنا لا أدري ما هي حلوان وأين تقع، أضلُّ طريق العودة ولا يهمُّني، لا أسأل أبدا إلى أن أصل بمفردي لمكان أعرفه.

عندما أحببت أول حب حقيقي طويل، وأفنيت فيه حوالي خمسة أو ستة أعوام من عمري، كانت متعتنا الحقيقية هي الـ"كروزة" أي اللفُّ في شوارعك بلا هدف، خصوصا في الزمالك، مكان الحبِّ الأول، نطوف حولها بلا هدف، نسمع ما يقدمه الكاسيت الخربان لنا، نتشاجر على الشريط الذي سنختاره، ننفخ فيه ربع ساعة علشان مايسفش، في يوم نتخذ طريق المحور أو الدائري أو نطلع المقطم -لأغراض شريفة والله- وتبدأ هي بالتوتر؛ لعدم معرفتها مكاننا، فأطمئنها أنا حتى لو لم يكن عندي أدنى فكرة عن مكاننا على الخريطة، تبدأ هي في البكاء؛ لأن أمها

www.ibtesama.com/vb

"سترفع الشبشب"، فهنا أرفع الراية البيضاء وأسأل أول شخص أجده ليردَّ علي بكل حكمة "قالك فين؟".

بعد أن أوصِّلها لأمها بسلام وبعد أن يُرفع الشبشب وينزل، وبعد مكالمة التليفون الطويلة، أبدأ بتجميع العصابة، طارق ومصطفى في الهرم، معتصم عند كلية البنات، أسامة في مدينة نصر، نمر عند الكلية الحربية، لنخرج في المعادي، ثم "نُكَرْوِز" إحنا كمان شوية، ثم أوصِّلهم واحدا تلو الآخر، ثم أتلذَّذ بالرجوع لبيتي بمفردي، لأعلي صوت الكاسيت وأغني معه، لكن سيارتي تقطع بنزين، وأنا معايا اتنين جنيه فقط لا غير، فأروح البنزينة وأحط شوية بنزين في "الجركن" وأرجع وأكافح مع العربية إلى أن تصالحني وتعمل، وأظل أقرأ القرآن لتصل للبيت دون أن تقطع مرة أخرى، ثاني يوم أتصنَّع الشهامة لأوصِّل أبي لأي مشوار؛ لأنه عندما ينظر لمؤشِّر البنزين أعلم أنه سيقول "يا بني البنزين خلصان خشَ أي بنزينة"، وهنا يفوِّلها بكل بساطة، هنا أعلم أن ليلتنا قُلّ النهاردة وأبدأ أكلم الشباب!

بعدها لما اكتشفت عالمك التحتي ولاحظت أن المتبرجات اللي ماشيين في جامعة الدول دول مش بيحاولوا يكونوا جميلات عشان خاطر الجمال، بس عشان خاطر الشباب العرب والشباب اللي مأجِّرين عربية ومُكْنة وعايزين ينبسطوا، عرفت أن الأماكن الغريبة دي الناس بتروح

www.ibtesama.com/vb

تسكور منها مخدرات، عرفت إن العمارات دي فيها شقق دعارة، عرفت إن شارع الهرم اللي كنت باروحه لخالاتي وأصحابي فيه كباريهات بيحصل فيها ما لذَّ وطاب لإبليس، عرفت أن هضبة المقطم الجميلة دي أكبر منفذ لكبت الشباب الجنسي، وعرفت أن شارع المنتزه في الزمالك أحسن مكان تشرب فيه البيرة، عرفت أن ولادك بيغلطوا في حقك، حبيتك لأنك بتسامحيهم.

من حبي فيك وفي شوارعك حفظتهم بمطباتهم، ببلاعاتهم، بتصليحاتهم، بالمختصرات، باللجان -وده الأهم- أصبح كل أصدقائي يكلمونني عندما يتوهون ليسألوني السؤال المعتاد: "أنا معايا مصايب في العربية ومش عايز أعدِّي على لجنة أعمل إيه"، هنا أشعر بكل فخر وأسأله عن مكانه ووجهته وأبدأ بتوجيهه بكل براعة و"تنطيت"، وأقول أشياء من قبيل "هتخشّ الشارع ده، اسمه نصر الثورة، وبعد تالت مطب تخشّ شمال"، فينبهر ويقول لي "إنت حافظ المطبات؟" أقوم أردُّ بكل فخر برضه "عيب عليك يا معلم".

حتى بعدما قلَّ الأصدقاء، تشاجر البعض بسبب البنات، الآخرون بسبب العمل، والآخرون بسبب تديُّنهم المتشدد أو إلحادهم المتشدِّد، وأصبح الأصدقاء أقلَّ، ظلت الكروزة كما هي لكن مع أصدقاء آخرين أكثر التصاقا، أصبحنا نتلذَّذ بقهوة المعادي أو الكوربة أو طريق مصر

www.ibtesama.com/vb

إسكندرية الصحراوي، وخصوصا ليلا عندما "تصالحنا القاهرة ليلا عما اقترفته من خطايا نهارا" -كما قال صديق حبيب- مع الموسيقى أو مع النمّ، أو مع النكات "الأبيحة"، نصل بيوتنا مع النهار، عندما نبدأ برؤية أول قطرات الندى الأسود من أطفال المدارس المجتهدين الواضح على وجههم أنهم مضروبين بالجزمة عشان يصحوا، هنا نعلم أن القاهرة ستكشّر عن أنيابها فنستسلم ونرفع الراية البيضا ونذهب لبيوتنا.

عندما بدأ العمل وبقت مواعيدنا مش بإيدينا، وأصبحنا ننزل القاهرة صباحا وظهرا وعصرا، وواجهنا مارد الزحمة الحقيقية، وأصبحنا نتزنق على كوبري أكتوبر أو في نزلة المحور أو في المريوطية بالساعات، أصبحنا نبحث عن ركنة في الزمالك أو المهندسين كمن ينقّب عن الذهب إلى أن نستسلم، ونركنها برضه صف تاني أو تالت، ويأتي لك شخص يشبه ذبابة الفاكهة وإنت خارج ويقولك بصوت مبحوح: "تعالى... تعالى... تعالى..." ولا تسمع له ولا تأخذ بنصيحته، ولكنك تعلم أنك ستعطيه اتنين جنيه غصب عن اللي خلفوك، ليرد عليك هو"لا يا باشا بناخد خمسة جنيه".. لم أستطع أن أكرهك، بالعكس قدّرتك أكثر، صعبتي عليَّ إن حمولك قاعدة تزيد وأنت مستحملة، كل ما فاعلين الخير -لو افترضنا حسن النية- يعملوا كوبري جديد أو محور جديد أو يلغوا إشارة عشان يعملوا "يو تيرن" ويطلّعوا أيماتنا لانهم بيشتغلوا فيهم قرون لحد ما يخلّصوهم -باستثناء طبعا منطقة مصر الجديدة اللي بيتعمل الكوبري

www.ibtesama.com/vb

فيها بين ليلة وضحاها- باحس إنك خدتي نَفَسك شوية وأتبسط لك إلى أن تمر أسابيع قليلة ويرجع الوضع أسوأ من الأول فتصعبي عليَّ تاني.

لما كبرت أكتر وبدأت أسافر بره مصر، بدأت أتوتر كما لم أتخيَّل من قبل، فين صلاح سالم؟ فين إعلانات كوبري أكتوبر؟ فين مطبات المحور اللي بتخليك وإنت بتجري عليه حاسس إنك في الملاهي؟ فين الكافيه اللي باقعد فيه؟ فين بيوت أصحابي؟ فين سينما جالاكسي؟ أكتشف قد إيه بجد بحبك وإني اتعوّدت عليكِ بدرجة مريضة، ده أنا حتى ممكن أستخدم أكثر تعبير كليشيه ومبتذل في الدنيا، وأقول دون تأنيب ضمير إني "السمكة اللي ماتقدرش تطلع من المية" وإنك ميِّتِي.

عندما ذهبت للدول الأخرى ووجدت ما بها من نظام وتأنُّق وجمال بَصَري، توتَّرت، أين تفاصيل القاهرة، أين الزبَّال الذي لا يكنس شيئاً، أين الصوت العالي؟ أين الدراما التي تجدها في كل ركن في هذه البلد، أحسست أنني في بلاد مصنوعة بالجرافيكس، حيث لا طعم ولا رائحة ولا معنى، أين المستشفى الخارج من سقفها ونش مش عارفين يشيلوه؟ أين العمارات الآيلة للسقوط ولا يتركها أصحابها، أين العشوائيات؟ أين الغسيل المنشور؟ أين أمناء الشرطة الذين تسحرهم بخمسة جنيه، ليجطوك تركن في أي حتة حتى لو في أوضة نومهم، أين سواقين الميكروباصات اللي مشغلين أغنية "يا كعبوا كعبوا حبيبي وأنا الاعبوا"؟

www.ibtesama.com/vb

أين التكاسي اللي مابقيتش عارف هما أبيض في إسود ولا أبيض بخط شطرنج؟ أين الأتوبيسات التي تنظر داخلها لتجد أنها تحدَّت قوانين الفيزياء والميكانيكا؟ أين الدانري الذي ترى في آخره الهرم الذي لا تذهب إليه أبدا؛ لأنه للسياح فقط، ولأنه هيفضل متلقِّح فهاشوفه ليه؟

مرَّة واحدة، لما كنت مسافر، اكتشفت إنك واحشاني أكثر من ناسك ما هما واحشيني، على قد ما ده ألمني، لكنه بسطني، لأني اكتشفت إن عندي نعمة، مكان أنتمي له بجد، مكان أحسّ إنه بيتي، مكان أحسّ إنه بتاعي وأنا بتاعه، ناس أمشي قدامهم وأنا ماعرفهمش أقول لهم "السامو عليكو"، يردوا بكل حماسة "وعليكو السا وراحمَتو الله وبركاتووووو، اتفضاااااال".. أبتسم وأكمل مشي، أسمع تليفزيون مشغّل أغاني هشتك بشتك، وبعدها تليفزيون مشغّل داعية ديني، وبعدها راديو مشغل أم كلثوم، وده لأني موطي صوت جهازي الموسيقي اللي مشغل فيه "جون ماير" عشان أسمع صوتك.. صوت القاهرة.

بحبك بزحمتك، بالعرب اللي بيملوا جامعة الدول في الصيف بعربياتهم الكبيرة اللي ملزوق عليها من ورا استيكارات "صقر الخليج".. بالأجانب اللي ماشيين مش فاهمينك ولابسين شورتات.. بالمحجبات المحضونات على كوبري قصر النيل.. بوسط البلد اللي مش فاهمها.. بجمهورية المعادي المستقلة.. بأقسامك.. بالكاريتات اللي بتمشي عادي في نُصَ

www.ibtesama.com/vb

أفخم الشوارع في منظر سيريالي لم يتخيَّله دالي نفسه.. بإعلاناتك الكتيرة اللي على العمارات اللي مابقيتش عارف أشوف السما منها.. بالنجوم اللي مابقيتش عارف أشوفها من كتر التلوث اللي فوقك، بالشبابيك اللي في العمارات اللي مافيش واحد فيها شبه التاني، بالشباب اللي واقفين بيشربوا حاجة ساقعة وساندين على عربيتي قدام الكشك زي ما كنت باسند على عربيات الناس زمان وأطبَّق كبُّوتها.. بالشباب اللي بتخمِّس بعربياتها يوم الوقفة.. بوقت الفطار والدنيا لسة زحمة.. ببعد ما مصر تكسب وأنزل أرقص في جامعة الدول وأشتري العلَم اللي قيمته اثنين جنيه بعشرين جنيه، بالريِّس وهومعدي وموقف الشوارع ليوم الدين.

أوعدك إني عمري ما هاسيبك، حتى لو سافرت شوية اطَّمَّني ده هيزوِّد حبي ليكي مش هيقلله، مش هاكرهك، مش هاسيبك وأروح أسكن في مساكن القصّ ولزق اللي في مدن ما بعد المحور أو طريق السويس، حتى لو سبتلك شوية وسبيت للزحمة والفساد والعادم، هاكروز بالليل وهتصالحيني وهاحبك أكثر.

بحبك.

حبيبك القاهري.

www.ibtesama.com/vb

رسالة إلي الدكتور النفسي

شيرين عبد المولى

(أو لمن يهمه الأمر)

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

دكتوري العزيز،

اولا أودُّ أن أشكرك من كل قلبي، دون أي مجاملة والله الشهيد..

قلبي معك، لا أعلم كيف تتحمَّل كل هذه المآسي التي تسمعها من مرضاك، كيف ترجع لمنزلك بذهن صافٍ لتكون زوجاً أو أباً أو صديقاً؟ كيف وأنت تسمع يوميا أحطُّ البشر وأكثرهم جنونا وهم يسردون لك أقذر أسرارهم التي أحيانا لا يستطيعون مواجهة أحد آخر بها، حتى أنفسهم.

ناتي للمهم، الآن أحاول أن أواجه نفسي بأسراري كما طلبت مني وكما نصحتني، أكتبها لأرسلها إليك لأني أجبن من أن أقولها أمامك، ليس لعدم ثقتي بك -لا سمح الله- لكن لأنني فعلا لا أستطيع قولها أمام نفسي بصوت عالٍ، قد أجنُّ أكثر، قد أقتل نفسي، ولكن بعد أن أقتلك؛ لأنك سمعت كل هذه القذارات وكل هذا الانحطاط.

لتعلم أن هذه الأسرار لم تعلمها حتى زوجتي أو ابناي الاثنان أو أي كائن حي آخر؟ لا يعلمها سواي والله عز وجلَّ.

أعلم أن جلستنا الأخيرة كانت منذ زمن بعيد؛ لأنني من وقتها لم تأتني الشجاعة لأكتب هذه الرسالة، ولكن الشجاعة أتتني اليوم أخيرا، وستعلم

www.ibtesama.com/vb

في نهاية الرسالة لماذا أتت لي الشجاعة اليوم بالتحديد، لذا سأحاول أن أذكّرك بنفسي وبموقفي الذي أتوقّع أنك من الممكن أن تكون نسيته؛ بسبب أنني لم أفتح قلبي لك وحكيت لك الفتات من ذكرياتي الساذجة التي لم تكن السبب الحقيقي لمجيئي إليك.

أنا فايق فرغلي المذيع السابق في نشرة أخبار القناة الثالثة التي لا يراها أحد، صاحب العين الزجاجية، أعتقد أنك تذكّرت الآن، أعتقد أنه لا يزورك أصحاب العين الواحدة كثيرا.

لأكون صريحا لا أدري كيف أبدأ الحكاية، ولكني سأعطيك نبذة بسيطة عن نشأتي وقد تُخبرك النشأة الكثير عني.

أنا كنت الطفل العادي، لم يكن فيَّ أي شيء مميز، إلى أن وصلت إلى سنّ التاسعة، السنّ الذي حدثت فيه الحادثة الأليمة، الحادثة التي غيّرت حياتي.

في تمام السادسة مساءً -أتذكّر لأن نشرة السادسة كانت بدأت للتوّ في التلفاز- كان أبي وأمي يغادران المنزل للذهاب إلي مسرحية كوميدية لفنان كوميدي شهير -أبو باروكة- وكنت أنا أبكي بكل حرقة لأني أريد أن أرافقهما؛ لأنه كان ممثلي المفضل، ولكنهما ظلا يبرّران بأنه ممنوع

www.ibtesama.com/vb

في المسرح اصطحاب الأطفال، ولكني "عملت لهم مناحة"، وكانت الخادمة تمسك بي كضابط محنَّك يمسك بحرامي يحاول الهرب، ظللت اشتمها وأنا أصرخ وأصيح في والدي "ماتشوفوش المسرحية من غيري، ماتتبسطوش من غيري، إنتم مش بتحبوني وأنا مش عايزكوا تتبسطوا"، أتذكَّرهما جيدا وهما يركبان المصعد وقبل، أن ينغلق الباب تماما، وبينما كان أبي يشاور لي مبتسما قائلا: "لما نرجع هنجيب لك شوكولاتة ونصالحك، ولما تكبر هاخدك كل المسرحيات" التفَّ ليدخل بكامل جسمه الأسانسير، وقبل أن ينغلق الباب وأنا ما زالت ناظراً لهما في أعينهم المودِّعة وقع الأسانسير بأبي وأمي، مرَّت الثواني كملايين السنوات الضوئية قبل أن أسمع صوت الارتطام المرعب الذي يوقظني كلما حلمت بهذا الموقف.

لم أسامحهما قط، لو كانا أخذاني معهما لكنت متُّ معهما واسترحت من الحياة في بيت خالتي في مصر القديمة، الحياة المقحفة، كانت خالتي في مستوى مادي بعيد كل البعد عن مستوانا، عندما ذهبت إلى شقَّتها الصغيرة لم يحبني أي من أولادها الخمسة، خصوصا مصطفى الذي كان ينظر لي كالمعتدي الصهيوني الذي اغتصب سريره المحبب، وجعله ينام مع أحمد أخيه على سرير أضيق، كان مصطفى أكبرهم وكان قويَّ البنية وكان أكبر مني بثلاث سنوات، كان شبحي المرعب، تمثَّل فيه رمز صفة الكره، هو أول من كرهته من قلبي وكنت أدعو في صلاة الجمعة دائما

www.ibtesama.com/vb

أن يموت مصطفى، فهو دائم الرسوب، يضرب إخوته، يشتم والدته إلى حد البكاء، كان يعطيني "بالقفا" في الرايحة والجاية كما كان يفعل مع باقي إخوته، كنت أسأل ربي: لماذا تُبقي على هذا البغل حيا؟ من المستفيد منه؟ من المؤكد أن انصلاح حاله في صعوبة إصلاح سيارة رمسيس؛ لعدم توفر قطع غيارها ولأنك ببساطة أنهيت عصر المعجزات، كان يتلذَّذ بإخراج الريح من مؤخرته بصوت عالٍ والتبوُّل دون غلق باب الحمام والاستمناء وهو على السرير أمامنا، فلماذا؟ لماذا لا يموت ويستريح الجميع؟ تستريح البشرية والحيوانات والنباتات والجماد؟ هنا انتظمت على الصلاة لأن والدي قبل مماته قال لي: "لو عايز دعاؤك يُستجاب صلِّ كثيرا وادعُ نفس الدعاء كثيراً وخليك كويس مع ربنا"، وعملت بالنصيحة إلى أن زفَّ الخبر الجميل في يوم سبت مشرق، سمعت الصويت والصراخ وأنا في طريق عودتي من المدرسة، مات مصطفى، وزَّعوا عليه بسكوتا فاسدا في المدرسة، سجدت سجدة شكر لله، لم أكن أعلم أن هذه أول جريمة قتل لي، أو هكذا اعتبرتها، حزنت العائلة لمدة لم تزد على عشرة أيام، ثم عادت المياة لمجاريها.. نام أحمد في سريره بمفرده، نمت أنا على سرير مصطفى باستمتاع، وحاولت في عدة مرات أن أتفاخر بأنني السبب وراء موت مصطفى، لكنني خفت من العقاب، ومن ذا الذي لا يخاف من العقاب؟

www.ibtesama.com/vb

أنتقل لمرحلة أخرى، الجامعة، كنت محبوبا جدا في الجامعة، أحبَّني الجميع، لكنني لم أحبَّ منهم أحدا، لكني كنت حريصاً على أن أكون شخصية اجتماعية لبقة، لم أحبَّ غير الشيماء -كان إسمها يبدأ بالألف واللام لا أعلم لماذا- لكنها بعيدة كل البعد عن الشيماء، كانت قصيرة، ممتلئة بعض الشيء، لكن هذا الامتلاء الجذاب في وقتها، قصيرة، شعرها أسود طويل.

كان ثدياها أكبر ثديين طبيعيين رأيتهما في حياتي، بدأت معرفتي بها عندما نظرت لها -أو بالأدق لثدييها- وهي تسير في الجامعة في أول يوم في السنة الثانية لي -والأولى لها- وقال لها أحدهم: "خدي بالك ليقعوا منك" فاقتربت منه بثقة، وركلته بين رجليه، مما جعله يُطلق صرخة مكتومة وقالت له: "خلي بالك ليفرقعوا منك"، شاهد الكل المنظر، صفَّقوا وصفَّروا، نجحت هي في أن يظل هذا الشاب ملقَّبا "بابن المفرقعة" باقي سنوات الجامعة.

هنا انبهرت بالشيماء وبقوَّتها، تعرَّفت عليها عندما كنت منظماً لرحلة من رحلاتي للفيوم وفي دقائق معدودات علمنا أننا لبعض، صفات كثيرة جمعتنا كما هو واضح وسيتَّضح أكثر، كانت ذراعي الأيمن في كل رحلات الجامعة، وكل الحفلات التي كنت أنظِّمها ومشتهر بها، عندما كنا نطلع أيا من هذه الرحلات كنت أرتِّب أن آتي لها بغرفة مجاورة لغرفتي،

www.ibtesama.com/vb

ودون أن أتكلم معها أو أقنعها كانت تأتي لي، وكنا نمارس كل شيء عدا الجنس؛ لأنها كانت تريد أن تظل "بنت بنوت".

عندما كنت في السنة الثالثة أقنعتني الشيماء بأن أرشّح نفسي لرئاسة اتحاد الطلبة، وافقت لأن الفكرة راقت لي كثيرا، كان الكثير من الطلبة يتوقّعون أن أربح، لكن العقبة الكبيرة كانت في إحسان، الشاب الطويل لاعب كرة السلة في منتخب الجامعة، أحد المتدينين الملتحين الذي كان محبوباً جدا من كل المتدينين والإخوانجية في الجامعة، بدأ الخوف يكبر داخلي وأحسست أنا والشيماء بأنه سيربح، وأنه استقطب الكثير من أتباعي بعد أن كان يلمُّهم ويعطيهم خطباً في الدين والأخلاق الحميدة وكل هذا الهراء.

كانت الشيماء حية -حية أي أنثى الثعبان- ورتّبت معي الخطة الجهنمية وفي محاضرة أخلاقيات الإعلام، وبينما كان إحسان يمر بين الجالسين وبينما كان يمر أمامها وعند اقترابه منها بمسافة كافية حضنته وصرخت وأغشي عليها، ضربته أنا وسط تعجُّبه وعدم فهمه، وعندما قدّمت الشيماء الشكوى بأنه مسك ثدييها وأني أنقذتها من هذا الوحش المكبوت جنسيا تحوّل الموضوع للتحقيق، شهد الكثير ممن رأوا نصف الحدث وصدّقوا حلفاناتي، وفُصِل إحسان نهائيا، وكسبت الانتخابات بنجاح ساحق.

www.ibtesama.com/vb

بعد فصل إحسان، جُنَّ تماما، لم يعمل ولم يحاول دراسة أي شيء آخر، أصبحت حالته في تدهور مستمر، وأدمن الكلة، أصبح ينام في الشوارع، رأته الشيماء في مرة تحت بيتها، وحكت لي ولكني طمأنتها أنه أصبح مجنوناً ولكن بلا ضرر؛ حيث إنه مدمن والمدمن جبان، لكني كنت بالطبع مخطئا حيث إنه في يوم من الأيام وبينما كانت الشيماء في طريقها للبيت في ساعة متأخرة انقضَّ عليها إحسان واغتصبها، اجتمع الناس وذهبوا إلى القسم وذهبت هي إلى المستشفى، وسُجِن إحسان وتغيَّرت الشيماء تماما، ارتدت الحجاب الذي كان غريبا في أيامها، وأصبحت تلحُّ علي لأتزوجها، وفي مرة غضبت وزل لساني وقلت لها: "مش هاتجوز واحدة متافشة ومش بنت بنوت، وخصوصا والكل عارف ده".. بعدها بيومين انتحرت الشيماء، ماتت لكني لم أحزن، نسيتها بعد تخرُّجي تماما، ولم تخطر على بالي لأكثر من ثلاثة فيمتو ثانية، ربما كان ضميري يؤنبني فقط للحظات؛ لأنني لم أنم معها بعد ما فقدت عذريتها ولم أستطع إغواءها، أعتقد أن هذه كانت جريمة قتلي الثانية، أعتقد.

تخرَّجت في كلية الإعلام، ولم أكن أعلم إلى يوم تخرجي ماذا يعمل من يتخرَّج في كلية الإعلام، دخلتها لأنهم قالوا لي إن بناتها جميلات، لم أتعلَّم منها شيئا، نجحت بحفظ الملازم في آخر السنة، وبخبرتي اللا متناهية في تسريب الامتحانات وبيعها، ظللت أنظِّم الحفلات والرحلات لطلاب الكلية، أزور الجامعة ولم يعلم الكثيرون أني تخرَّجت، كان رجال

www.ibtesama.com/vb

الأمن أصدقائي جدا فكانوا يسمحون لي بالمرور دون كارنيه، احترفت كتابة الملازم، وهنا بدأت بفهم المواد بعد تخرُّجي وأصبحت خبيرا، وبدأت بإعطاء الدروس بسبب شهرتي، وفَّرت لي الدروس دخلاً محترماً، تزوَّجت عبير، الفتاة التي كنت أعطي الدروس في بيتها، الفتاة الجميلة التي كان يظنُّها الجميع أجنبية الأصول؛ بسبب بياضها الوردي وشعرها الأصفر وعينيها الزُّرقاوين كالسماء الصافية، أحبتني بكل صدق وأنا أحببت جمالها وبيتها وأصالة أسرتها وبيتها الدافئ ووالدها المسؤول المهم في التليفزيون المصري، لكن هل أحببت عبير نفسها؟ سؤال لا أستطيع الردَّ عليه إلى الآن.

بعد أن تزوَّجت من عبير وبينما كنت أجلس مع والدها في بيتهم أشاهد نشرة الأخبار مع والدها وأنا أشرب الشاي وآكل الكيك قال "مين المذيع الحمار ده؟" لم أعلم لماذا كان حمارا، أذنه وفمه في حجمهما الطبيعي وطريقة كلامه تشبه كل زملائه، تعجَّبت وعلَّقت لوالد زوجتي: "ما هو زي الحمار اللي جنبه"، فردَّ بكل تلقائية: "أيوه بس اللي جنبه قريب الوزير"، وهنا تشجَّعت وسألته: "ماتجرِّبني يا عمي"، نظر إليَّ وتمعَّن في صلعتي التي بدأت بالظهور ونظارتي السميكة وكرشي اللي في الشهر الخامس، وقال: تعالَ لي بكرة المكتب.

www.ibtesama.com/vb

ذهبت إلى المكتب، وانتظرته لأنه كان خارج المكتب في زيارة مفاجئة لتفحُّص الأقسام التي يشرف عليها، نظرت على مكتبه فوجدت قرار تعييني، موقَّعا ومختوما، أتى عمي، كنت في غاية السعادة، قال لي: "ده قرار تعيينك، بس مش هاديهولك لحد ما تجيب لي حفيد"، هنا صُدِمت: "بس يا عمي أنا وعبير.." قاطعني قائلا: "إنت وعبير مش عارفين مصلحتكم فين، أنا عارف، لو عايز تتوظَّف خلِّف"، فقلت له: "طب لو جبت توأم؟ تخليني أمثِّل؟" لم يضحك وخجلت من دعابتي فغادرت.

رجعت البيت وظللت أقنع عبير بأن رأيي تبدَّل وأني أصبحت أحنُّ لعاطفة الأبوة، وأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- زارني في المنام وقال لي "لازم أخلف"، صدَّقت عبير قصتي ووافقت، لسخرية القدر، أنجبت توأمين فعلاً، وهنا كرَّرت دعابتي مع والد زوجتي: "ها.. كده أمثل بجد؟" ولكنه لم يضحك مجددا.

عملت مذيعا، كنت أتوقَّع الشهرة، كنت أتوقَّع أن يُسلِّم عليَّ الناس في الشوارع، لكن ما حدث كان مختلفاً بعض الشيء، حيث إنني في مرة وأنا أبتاع جزمة من شارع الشواربي سمعت أحدهم يقول: "والنبي ده منظر مذيع؟" فظننت أن العبارة لم تكن موجَّهة إليَّ، لكن في مرة أخرى سمعت أحدهم يقول لي في الإشارة: "صلعتك بتعكس نور يا عم المذيع"، نظرت له فوجدته يفتح زجاج نافذته أكثر وهو ينظر لي بتحدٍّ

www.ibtesama.com/vb

ثم حوَّش بلغم محترم وبصقه في ناحية الأسفلت، وفي يوم آخر وأنا في المطعم مع عبير، وجدت النادل يقترب مني ويقول لي: "الحساب على الترابيزة اللي هناك دي، بس الأستاذ بيقول لحضرتك على شرط، تقول له مين واسطتك".

زاد ذلك من عنادي، لم أترك العمل، ولكنهم بدأوا بنقلي من نشرة الأخبار الأساسية لنشرات أخرى أقلَّ منها في الأهمية، وبدأت أشعر بفشلي العارم في الوقت الذي بدأت عبير بتسلُّق سلم النجاح بقفزات سريعة، وأصبحت مذيعة شهيرة في لمح البصر، يعرفها ويحبُّها الجميع، أدمنت الخمر بسبب ذلك الإحساس الذليل، أصبح كرشي في الشهر التاسع، دخلت في حالة من الاكتئاب الحاد، بدأت أتحجَّج بكل شيء لعبير لكي تترك عملها، لم توافق، ضربتها، كانت تسامحني، لكني كنت أضربها مجددا، هدَّدتها بالطلاق، لم تهتمَّ وقالت لي مرة: "لو كنت تقدر كنت عملتها من زمان، بس إنت عارف إنك من غيري ومن غير أبويا هتبات في عربيات الزبالة"، لم أهتم بما قالته، أنا أعلم أن الإنسان في لحظات الغضب يقول ما لا يعنيه، ظللت أعاملها بأقسى الطرق، حاول والدها أن يهدِّئني ولكني كنت أسبُّه، إنه مرتشٍ وبتاع واسطة على أي حال، ولن أشعر بالتعاطف منه، في مرة ضربتها أمامه فغضب، بكى وهو يصرخ فيَّ: "ماتعملش كده في بنتي"، حاول أن يضربني فدفعته، ووقع على الأرض ولم يقف بعدها، ظننت أنني رحت فطيس وأنني قتلته وأنني

www.ibtesama.com/vb

سأكمل عمري في زنزانة أرتدي فيها فساتين لإمتاع المساجين الأقوى مني بنيانا، ولكن الطب الشرعي أثبت أنه مات بأزمة قلبية، فأصبح جريمتي الرابعة؟ الخامسة؟ لا أتذكَّر، لكنها جريمة أخرى لم يعاقبي عليها القانون.

حاولت عبير أن تحصل على الطلاق بشتى الطرق ولكنها لم تستطع، تركت البيت وكنت أنا أكسل من أن أبحث عنها أو أتتبعها، إلى أن انتهت أموالي، وكنت في قمة سُكْري فذهبت لها بيت أمها، ظللت أبكي أمام باب شقتها، هدَّدتها بأن أقتلع عيني من مقلتها إن لم تسامحني، ولكنها لم تخرج ولم يحرِّكها تهديدي، ففعلت ما هددت به، واقتلعت عيني بزجاجة الخمر التي كانت بيدي، أو هكذا قال لي الجيران الذين رأوا الموقف لأنني لم أكن بوعيي وقتها.

فُصِلت من التلفاز، واسطتي ماتت وعيني راحت، صعِبت على عبير، وأتت لي، قالت لي إنها ما زالت تحبني وهنا تأكدت أنها متخلِّفة عقليا، هل تحبني بعد كل ذلك؟

بعدها عشنا سنة سويا، كنت هادئاً ومبتلعاً للساني داخل فمي، أقلعت عن الخمر والسجائر، إلى أن أتت شيماء -بدون الألف واللام- كانت تشبه الشيماء كثيرا، خصوصا في ثدييها، أستطيع أن أحلف أنها أجمل

www.ibtesama.com/vb

الخادمات وأكثرهن جاذبية، كانت محنَّكة في إخفاء علاقتنا أمام عبير، لكن في يوم من الأيام وعندما أتت عبير إلى المنزل في وقت برنامجها الذي ألغي بسبب موت المخرج المفاجئ، وجدتنا ونحن عاريان، وجدت الطفلين محبوسين في غرفتهما -حيث إنني كنت أغلق بابهما بالمفتاح من الخارج وقت معاشرتي للخادمة، ولا أفتح لهما إلى أن أنتهي، حتى لو كانا يصرخان من الجوع أو من رغبتهما لدخول الحمام- هنا أخذت الطفلين وغادرت.

رأيي في عبير لم يتغيَّر، كانت أنانية طوال عمرها، لم تعمل حسابا لفشلي، واستمرَّت في نجاحها، لم تحبني حباً حقيقياً، ولكنها أحبَّتني بسذاجة المراهقين، لو كانت تحبني كانت سامحتني على واقعة الخادمة تلك، ولكنها كانت أنانية، أنانية لدرجة أنها لم تخبرني بأنها كانت حاملا وقتها، أنانية لدرجة أنها أخذت قراراً بالإجهاض دون أخذ إذني وأنا أبو هذا الطفل -خصوصاً أنني لم أكن لأرفض هذا الاختيار- أنانية لأنها ماتت وهي تحاول إجهاض نفسها لتترك لي طفلين لن أقدر على تربيتهما بمفردي.

هل كانت عبير وابني الذي لم يولد من جرائمي؟ من الممكن.. لن أعترض.

www.ibtesama.com/vb

أنا أحاول أن أفعل كما تأمرني يا دكتور، أن أنظر لنصف الكوب المليء، لكن رؤيتي له انعدمت مع ذهاب عيني اليمنى، فبهذه العين اليسرى أرى النصف الفارغ فقط، فلماذا أعيش وأنا مفلس، بلا عمل، بلا عين، بلا مستقبل؟ الأدهي أنني قاتل، قاتل دون عقاب، عقاب دنيوي على الأقل.

لهذا قرَّرت أن أقوم بآخر جريمة قتل، جريمة لن يستطع آدمي أن يعاقبني عليها، ولكن قبل أن أقوم بها أهنئك لأن جريمتي هذه ستثبت أنك دكتور حمار، عندما حاولت أن تعالجني بهذه الطريقة الغبية.

فلتذهب أنت وعلمك النفسي الى الجحيم..

أراك هناك.

المرسل /

مريضك السابق

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

رســـالة

للمرسيدس السمرا

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

لم أحكِ لك يوما عن قصَّته، أو بالمعنى الأصح، قصَّتِك.

ظلَّ يفكر طوال عمره في النجاح، ظلَّ يتأمَّل ويسأل ويسمع من كل من سبقوه، من هو الناجح؟ من هو المحترم؟ من هو الغني؟

هل الغني من معه مليون؟ مليونان؟ مليار؟

كان يكره هذا الشخص العفن المسمى "بعبده السكران"، أبيه، كان يكره أنه ابن هذا الشخص المقزِّز، ليصبح اسمه وسُبَّته مصطلحاً واحداً "ابن السكران"، لكم أحزنه أن يقال له "روح يا ابن السكران، تعالَ يا ابن السكران".

ما أحزنه أكثر هو أن صديقاً له -وهو صديقه منذ عدة سنوات- سأله "هو اسمك إنت إيه؟ ولا إنت اسمك في شهادة الميلاد ابن السكران؟!".

كان يعلم أن صديقه لا يقصد جرحه، وإنه في سنِّ الخامسة عشرة لم تكن نيته سيئة، لكنه أخذ يومها قراره الأول، أنه سيكون ناجحاً ومشهوراً، باسمه هو، وليس بصفة والده.

www.ibtesama.com/vb

لكنه لم يكن وصل بعد لتعريف النجاح؟ من هو الناجح؟ سؤال يجب أن تحدد إجابته.

في يوم ما في حارته البسيطة، حارة القيشاني في البحيرة، حدث حادث غريب عن تقاليد الأيام العادية، دخلت الحارة سيارة، ليست سيارة نصف نقل أو نقل أو سيارة إيطالية رخيصة من الذين يمرُّون بين الحين والآخر، كانت مثلِك، من نوع مرسيدس، يتذكَّر جيدا أنها كانت سوداء، يتذكَّر النظارة الشمس الريبان التي كان يرتديها قائد السيارة، كان سائقا أشبه بطيار أو رائد فضاء.

ما يتذكَّره جيدا -بالتصوير البطيء- هو كيف صمتت الحارة، كيف نظر الجميع للسيارة كأنهم ينظرون لإمرأة من الحور العين تسير دون ثياب، كيف توقَّف صاحب القهوة عن التشييش، كيف توقَّف المكوجي عن الكيّ وفمه مليء بالماء مما نفخ خديه، كيف توقَّف الميكانيكي عن ضربه لصبيه، كيف توقَّف صبي الميكانيكي عن محاولات الهرب، كيف توقَّفت المباراة في تليفزيون القهوة عالي الصوت وانقطع الإرسال!

كان هذا في السبعينيات، كان هو في العشرينات من عمره، كانت هذه الذكرى كبرج طويل شامخ في مدينة ذكرياته وسط بنايات صغيرة متواضعة، يتذكَّر نظرات الحارة، النظرات التي كان فيها مزيج من

www.ibtesama.com/vb

الانبهار والرهبة والخوف والطمع والحقد، يتذكّر أيضا أن اللعاب نزل من فم أحد المارة، لا يدري إن كانت ذكرياته أضافت بعض التفاصيل لتضخيم وتعظيم الموقف أكثر مما كان فعلا، هل خياله اتّحد مع ذكرياته لجعل هذا الموقف أهم صورة في ذاكرته؟ أهم من يوم فرحه ومن يوم موت أمه ومن يوم حادث الموت الذي نجا منه على الطريق الصحراوي، حتى أهم من مشاهد تحرير سيناء وتحطيم خط بارليف التي يذيعونها في أي عيد قومي.

عندما وقفت السيارة، توقّف التصوير البطيء وتبدّل بتصوير سريع، لأطفال الحارة وهم يحاولون احتلال السيارة والقفز عليها، ومن أولاد الحلال الذين يحاولون فكّ هذا الاشتباك، ومن هؤلاء الملتمين دون سبب يُذكر ومن صاحب القهوة الذي أتى بكرسي في سرعة البرق ليضعه وبجانبه الشيشة أمام باب السيارة -مع العلم أنك تنادي على هذا الرجل لأكثر من ساعة ليأتي لك بالسكر الذي يتناساه، ويبرد الشاي بسبب ذلك وتشربه بمزاج عكر- لم يعلم إبن السكران سبب زيارة الرجل للحارة، أتى الرجل بسيارته، وغابا في بحر نصف ساعة، نصف ساعة غيَّرت كل سنين حياته.

علم معنى النجاح يومها، علم أن النجاح هو هذا الرجل، بنظارته، بطلّته، بسيارته السمراء الكبيرة التي قال عنها الناس "التمساحة"، علم أنه

www.ibtesama.com/vb

سيمتطي هذه التمساحة في يوم ما، سيروضها، سيدهس بها كل من يكرهه أو يذكره بأنه ابن السكران.

كان ذكياً، كان يعلم ذلك، كان متحمّساً ليخوض صعاب الحياة مهما كانت، كان يهرب من السكران ومن لقبه بكل سرعة، كان يتذكّر دائما كلام مدرّسيه، عندما كانوا يخبرون أمه -رحمها الله- أن "فاضل عبقري.. هو بس لو يركّز شوية"، كان يتذكّر كلام مدرس الدين الذي كان نفسه إمام جامع الحارة لأمه "خدوا بالكم من الولد ده، اضربوه كل يوم علشان تكسروه، ذكي ومغرور بذكائه ودي كانت آفة إبليس، الحقوه لتلاقوه شيطان هياكلكم قبل ما ياكل غيركم".

لم تضربه أمه قط، توقّف أبوه عن ضربه بعد أن ضربه هو في سنّ الخامسة عشرة، كان يعلم أنه سكران وضعيف دائما، فعندما حاول أن يضربه كعادته في هذا السن جمع قواه وضرب أباه بقوة، لقّنه درسا ومن وقتها لم يتشجّع أبوه أن يضربه مرة أخرى.

لم ينسَ أمه التي ماتت بعدها بيومين، قال له أبوه إن هذا عقاب الرب له لكنه لم يصدّق هذا، كان متأكداً أن هذا هو عقاب الرب لوالده، ماتت أمه وهي توذّن له في أذنه وتطلب منه أن يقتل الشيطان الذي بداخله وتقول إنها راضية عنه حتى لو كان ابن الشيطان نفسه، ثم تشاهدت وماتت

www.ibtesama.com/vb

وهو في حضنها، لم ينسَ ذلك، لكنه تمنى أن يوقظ أمه ليردَّ عليها ويقول لها إنه ليس بشيطان، ولكن الشيخ والناس هم الحملان والبعير، ويخافون من أي فرد منهم يتمرَّد على وضعه.

بسبب كرهه الرهيب لحياة والده أحبَّ الدين، أحبَّه عندما سمع عن تحريمه القاسي والحازم للخمر، بدأ التدين وهو في سنِّ العشرين، وفي سرعة البرق طالت لحيته، وفي سرعة البرق كان يؤمُّ المصلين عندما يغيب شيخ الجامع، قال البعض إنه يدَّعي التديُّن حتى يحبه كارهوه، وحتى يهرب من سمعة والده، من ذا الذي سيقول على الإمام ابن السكران؟ بدأ البعض يسألونه السؤال الذي أحبه جدا: "هو إنت اسمك إيه؟" وكان يرد بكل فخر "فاضل".

لم يصدِّق الجميع تديُّنه، خصوصا غير المتدينين الذين كان يصادقهم، كيف يدَّعي التديُّن وهو من يومين كان يأتي بالفتيات ليقضين الليالي عنده في البيت أمام عيني والده التي لم تكن ترى غير زجاجة الخمر، كيف وهو كان يتاجر بكل ما هو محرَّم، كيف وهو كان يتلذَّذ بإيذاء كل من أهانه أو داس له على طرف بحنكة وصمت العقارب.

لكنه بسرعة اكتسب سمعة أكبر، فتح محلَّ لعب أطفال مستوردة، لم يعلم أهل الحارة مصدر المال، ولكن البعض قال إنه جعل والده يبيع أرضه

www.ibtesama.com/vb

التي لم يُرد أن يبيعها طوال عمره حتى مع إدمانه للخمر وفقره المدقع، قال البعض إنه أجبره على الإمضاء تحت تهديد السلاح، قال البعض إنه كسر زجاجة خمره ووضعها على عنق والده، عندما سأله أحدهم عن هذه الواقعة ببجاحة ابتسم له وقال له: "ربنا يهديك ويهدي اللي ألّف الحدوتة دي"، حتى إنه إعطاه هدية محبة ليعطيها لابنه، أخذها الرجل وهو في قمة الخجل من نفسه، وشكره بعد أن اعتذر له.

مع تديُّنه كان يحبُّ الحكومة، وكان يشكر في السادات كأنه والده الذي لم ينجبه، وكان يمتدح الانفتاح، كان يمتدح المعارضة أيضا، كان يحب الإخوان المسلمين والشيوعيين والناصريين، لم يسمع منه أحد كلمة كره واحدة، وبدأ عدم التصديق لنواياه في التلاشي والشك في ادّعائه التديُّن في الاختفاء يوما بعد يوم.

في يوم العيد فوجئ الجميع بالشيخ فاضل وهو يذبح عجلاً كبيراً جدا، من أين له هذا؟ من اللعب الصينية الرخيصة؟ لكن لم يكن لديهم الوقت للتلسين بسبب امتلاء أفواههم بلحمته، لا حتى بعد أكلهم بسبب انتفاخ بطونهم بهذه اللحمة الشهية.

ظنَّ البعض أنه يتاجر بالعملة، قال البعض بالحشيش، قال البعض إنه مهرِّب، قال البعض إن الإخوان يمدُّونه بالمال اللازم.

www.ibtesama.com/vb

ترك الشيخ فاضل الحارة بعد سنتين، ذهب إلى القاهرة عاصمة العالم بالنسبة له، اشترى شقة في المهندسين وافتتح "الآجنص" وسمّاه "معرض الإخوة"، قال البعض إن الاسم كان دليلا أنه من الإخوان المسلمين أو على الأقل يغازلهم.

كانت المفاجأة الحقيقية لكل من يعرفونه هي زواجه، حيث إنه تزوج فتاة أرستقراطية وبنت عائلة مرموقة جدا، لكن الأغرب أن من يراها لا يمكن أن يربط بينها وبين الدين بأي شكل من الأشكال، فهي فتاة متحرِّرة تماما، تدخِّن السجائر وهي جالسة أمامه في المعرض وهي ترتدي تنورة قصيرة تظهر رجليها بشكل واضح، شعرها أصفر مميز، كان الكل يستعجب أنها زوجة الشيخ فاضل الذي يصلي الصلوات الخمس جماعة مع المصلِّين.

لم يظنُّ أحد أنها تزوَّجته للمال، فشخصية فاضل كانت جذابة جدا، مع أنه ممن كانوا يسمون بالأغنياء الجدد، لكنه كان ذكياً واستطاع في سنوات قليلة تعلُّم الفرنسية والإنجليزية، كان مثقفاً كثير القراءة، كان مغامراً ونشيطاً، تظنُّ دائما أنه شاب في العشرين حتى عندما كبر وتخطَّى الخمسين، كان شكله وروحه جذابين جدا، خصوصا احتفاظه بشعره الناعم القصير وعينيه الخضراوين اللتين كانتا ملائمتين جدا لبشرته السمراء.

www.ibtesama.com/vb

في يوم ما قالت له "إنجي" - زوجته- إنها حامل، قالتها له في التليفون، كان في المعرض، المعرض الذي تحت عمارته، فتسلَّق السلالم كالفهد، ووصل لدوره العاشر في لمح البصر، لم يكن ليتحمَّل السنين التي كان سينتظرها لوصول الأسانسير، دخل عليها وحملها ووضعها على السرير، بعينين مليئتين بالدموع المحبوسة، فتح قلبه لها.

قال لها دون تفكير أو تنظيم للكلام: "إنتي عارفة أصعب حاجة في الدنيا إيه؟ إنك تبقى واحد تاني مش نفسك، عارفة أنا ليه باصلِّي ومربِّي دي؟ اشار إلى ذقنه- عارفة ليه حطِّيت القرش ع القرش؟ عارفة ليه ماكنتش بانام الليل بافكر في شغلي وتجارتي؟ عارفة ليه قريت عن الفلسفة والاقتصاد والحب والطبيخ؟ عشان أبقى بني آدم تاني، عشان أبقى أب، أب عايز ابنه مايكرهوش ويحب يبقى زيه، عشان لو سألني أي سؤال ماقلوش ماعرفش.. عشان يحبني".

كانت إنجي تسأل نفسها كل يوم، هل تحبُّ فاضل أم لا، هل هي مبهورة بنجاحه وعصاميته أم خجولة من أصله؟ هل تعرفه كنفسه أم إنه فعلا غامض ويخفي أكثر مما يظهر كما تقول عيناه، لكنها بعد هذه اللحظة تركت العنان لمشاعرها الجياشة تجاهه، أحبَّته أكثر، احتضنته عندما بكى كطفل صغير، عندما تخلَّى عن كل قوَّته في لحظة وأصبح هشاً كما لم يكن من قبل، احتضنته بين ذراعيها كأنه هو ابنها الذي ستنجبه منه.

www.ibtesama.com/vb

تعجَّب الناس بشده لتسمية فاضل لابنه باسم أبيه، كيف بعد كل كرهه لأبيه؟ بعد تجاهله لموت أبيه وإرسال العمال عنده لتولي كل مسائل الدفن والتعازي؟ بعد أن تصنَّع أنه خارج البلاد حتى لا يتلقَّى أي عزاء؟ وعندما كان يحاول أي شخص أن يعزِّيه عزاء متأخراً كان يقول "لا يجوز العزاء بعد ثلاثة أيام يا أخي.. إنت أخبار السوق ده معاك إيه؟"، سمَّاه عبده، حاولت إنجي التلميح باسم آخر، ولكنها لاحظت أن هذا الاسم له أهمية كبيرة لفاضل، ظنَّت أنه ربما اعتذار منه لروح أبيه، ربما..

في نفس يوم الولادة اقترب فاضل من إنجي وقال لها إنه أتى له بك.. بسيارة مرسيدس آخر موديل سوداء، مرسيدس الزلمْكَّة الجديدة، وإنه كان ينتظر هذا اليوم ليشتريها، لم تهتم هي ولكنها لاحظت سعادة بالغة عنيه، سعادة لم تفهمها، عنده في المعرض سيارات أخرى، ربما بعضهم أغلى من الزلمْكَّة تلك، ثم إنه لم يتاجر أو يشتري مرسيدس من قبل قط، فلماذا هو فرح بهذا الشكل؟ لو كان يحب المرسيدس كان اشتراها من قبل، كلما تظن أنها تعرفه يباغتها بمواقف غريبة غير مفهومة، لكنها مواقف لا توحي بأي خطورة على أي حال.

تربَّى عبده الصغير تربية يحسده عليها أي طفل، لم يكن مدللاً، لم يكن أيضا متجاهَلاً من والديه، كان يحظى بالاهتمام المعقول، كان يربِّيه

www.ibtesama.com/vb

فاضل بحنكة، أدخله مدارس أمريكية ولكنه لم يعطِه الكثير من المصروف، لم يشترِ له سيارة أو يعطيه واحدة من الأجنص عندما طلب منه ذلك، كان لا يداعبه عندما يبكي، كان يتركه ولكنه كان يكافئه عند توقُّفه عن البكاء، كان يكلِّمه أسبوعا بالعربية وأسبوعا بالإنجليزية وأسبوعا بالفرنسية، ذهب به لنادي الجزيرة، وجعله يجرِّب جميع الألعاب حتى أحب عبده الإسكواش واحترفه، في العاشرة من عمره جلس معه فاضل.. وقال له: "تعرف يعني إيه سجاير يا عبده؟" قال عبده في خوف: "أيوه اللي ماما بتشربها"، ابتسم فاضل وسأله: "تعرف يعني إيه حشيش؟" قال له عبده: "لأ" قال له: "تعرف يعني إيه خمرة؟" قال له عبده: "اللي بيشربوها في رأفت الهجان اللي شبه عصير التفاح"، ابتسم فاضل وسأله: "تحب تجربهم؟" لم يعرف عبده إجابة، ولكنه أحس بأن والده يريده أن يجيب بالتأكيد فقال: "آه"، أخرج فاضل سيجارة وأعطاها لعبده، وقال له أن يسحب نَفَسا، فعل هذا عبده وكحَّ بشدة فصرخ الأب "مرة كمان" فكحَّ عبده أكثر، فصرخ الأب مجددا "استرجل" فكحَّ عبده بشدة وبدأت عيناه بالاحمرار، دخلت الأم ولم تفهم، وحاولت الاعتراض، ولكن فاضل استوقفها بحزم، ثم أشعل لعبده سيجارة حشيش وفعل معه المثل، لم يوقفه بكاء عبده الذي أصبح عالي الصوت، ثم أعطاه كوباً من الويسكي وقال له بصوت عال اشرب، شرب الابن بخوف وسط تعجُّب الأم الرهيب، وعندما تجرَّع بعض الويسكي تقيَّأ

www.ibtesama.com/vb

الطفل بقوة، وهنا لم تحتمل الأم وهرعت لتنقذه وأخذته ودخلت به غرفته، هنا بدأت تخاف من هذا الشخص.. زوجها.

في الليل دخل فاضل على عبده، ولاحظ أنه ما زال يبكي، وهنا حكى له عن حكايته مع والده وحكاية كفاحه، وقال له إن أسوأ آفة هي السجائر والمخدرات والخمر، وإنه فعل ذلك ليكرهه فيهم منذ الصغر، قبَّله وغادر الغرفة.

عندما كبر عبده لم ينسَ هذا الموقف، لم ينسَ أياً من مواقف أبيه معه، كان يحكي عن والده بفخر، كان والده مَثله الأعلى في الحياة دون منافس في جامعته الأمريكية كتب مسرحية وأخرجها، مع أن اختصاصه الهندسة ولكن هوايته كانت المسرح، سمَّى المسرحية "أبي العزيز"، وعندما عرضها فوجئ والده الذي لم يكن يعلم عن موضوع اهتمام ابنه بالمسرح شيئاً أن ابنه كتب مسرحية عن حكاية والده مع جده السكير، بكى من أول المسرحية لآخرها، خصوصا عندما وجد الشخصية التي تلعب حياته تبكي على موت والدها، وهو ما لم يفعله هو قط.

بعد تخرج عبده، أخذ دبلومة مهمة في التسويق، ظنَّ فاضل أنه سيعمل في شركة مهمة، استخدم معارفه ليأتي له بوظيفة مرموقة، لكن عبده لم يوافق أبدا على أي من هذه العروض، حتى بعد انتهائه من كل دراساته.

www.ibtesama.com/vb

ذات يوم نزل فاضل المعرض لم يصدِّق عينيه عندما دخل ليجد مكتباً جديداً موضوعاً يجلس عليه عبده مبتسما، مكتوب عليه اسمه "عبده فاضل عبده – مدير التسويق"، كان عبده يجلس على المكتب مبتسما، لكن الأب لم يبتسم، وأخذ عبده معه في جولة في سيارته المرسيدس المحببة، وقال له إنه لا يريده أن يكون تاجر سيارات ويريده أن يكون أكثر من ذلك، وزير، رجل أعمال... أي شيء مهم، لكن عبده قال له إن سعادته في هذه التجارة، وإنه سيأخذها فعلا إلى مجال أكبر، وإنه يحلم أن يحصل على توكيل مهم، وبدأ في شرح خططه للتوسُّع في التجارة، تكلَّم كلاماً كبيراً، كلاما أبهر الأب فعلا، سرت قشعريرة في بدنه، ها هو ابنه يصل للنقطة التي كان يحلم بها، ربما أكثر بكثير، هنا ابتسم الأب وقال له إنه أخيرا سيعطيه أي سيارة يريدها من الآجنص، ولكن الإبن قال له أن يختار هو أي سيارة لأنه يريدك أنت.. المرسيدس السوداء، يريد أن يركبها بعده، لكن فاضل تحجَّج بأنها قديمة ولا تناسب شبابه، ولكن عبده أصرَّ، وهنا انفجر الأب في غضب: "قلت لأ.. شوف أي عربية ثانية.. حتى لو أشتريلك واحدة ثانية أغلى"، هنا صمت الابن، لم يفهم، لكنه لم يتجرَّأ أن يسأل سؤالا آخر.

عندما رجعا إلى المحل وجدا سيارتين كبيرتين وسيارة شرطة وبعض الأشخاص الذين من الواضح عليهم أنهم رجال أمن، نزل فاضل وعبده، واقترب أحدهم من فاضل وقال بلغة باردة كبرود الإسكيمو: "إنت

www.ibtesama.com/vb

هتتفضل معانا"، ذهب معه الأب في صمت وحاول طمأنة عبده "خش جوه خلي بالك من المعرض لحد ما أرجع"، لم يفهم وقتها عبده شيئاً.

في حجزه في السجن الموقَّت قبل المحاكمة أتى الصول لفاضل يقول له إن هناك زيارة من ابنه، ذهب فاضل وجلس أمام ابنه: "مش قلت لك ماتزورنيش لحد ما آخد براءة"، بعد صمت ونظرات ثاقبة من عبده لأبيه قال له فاضل بحزم: "إنت بتبص لي كده ليه اوعى تكون مصدِّقهم؟"، هنا ردَّ عبده: "أنا ما صدقتهمش.. بس أنا مش قادر أكذِّب كل الناس اللي رحت قابلتهم في البحيرة.. مش قادر أكذِّب كل الي اشتغلوا معاك وقالوا لي على تاريخك.. ليه لما حكيت لي قصة كفاحك ما حكيتليش عن العُملة والحشيش والناس اللي كنت بتسلِّفهم بفوايد قطمت وسطهم، والناس اللي قطعت عيشها والناس اللي موَّتها من الجوع وعلى أبوك اللي مادفنتوش و...." استوقفه فاضل ووقف وتكلَّم وهو واقف بطريقة مسرحية: "مش هييجي اليوم اللي تقعد تحاسبني فيه.. أنا ماعملتش حاجة غلط.. أنا لو كنت عملت حاجة ضد قانون كتبه الحرامية ما أبقاش حرامي.. أنا مش هاحرِّم اللي شيوخنا حللوه.. ووقت شيوع الخطينة أقل خطاء ولي.. أنا مش نبي أو رسول عشان آأكل الناس وأجوع أنا ومراتي وابني.. اللي قدّ السوق يخشّه واللي مش قده ياكل عيش باللي يقدر عليه.. أبويا ماعملش ليَّ واحد على مليون من اللي عملتهولك.. أنا ماحكيتلكش عشان كنت صغير مش هتفهم، ودلوقتي لما كبرت قاعد

www.ibtesama.com/vb

... ني فيها ربنا وجاي تحاسبني؟ غور.. غور امشي.. اعرف غلطك حلشان لما أروّح البيت تتأسّف وتبوس رجلي".

غادر فاضل الغرفة، دمعت عيناه، بكى بكاءً فاق بكاءه عندما علم أنه سيُرزق بابنه، ابنه الذي من كثرة محبته له لم يأتِ له بأخ أو أخت؛ حتى لا يضطر لتقسيم حبه بينهم، بكى حتى سمع جميع زملاء السجن بكاءه.

غادر عبده، خرج وركب سيارة أبيه المرسيدس، أبيه الذي لم يكن يعرفه طوال هذه السنين، بكى، بكى كما لم يبك من قبل، بكى حتى انعدمت الرؤية في عينيه بسبب الدموع.

في المحاكمة لم يرَ فاضل أحداً من أسرته، ظنَّ أنهم مازالوا مصدومين، وعده المحامي بالبراءة من كل التهم وصدق وعده، قال له إنه استغلَّ كل شخص من الممكن أن يقبل الرشوة في هذا البلد، وأن تعداد هؤلاء أكثر من تعداد سكان البلد نفسهم، وإنه استخدم كل الحيل القانونية، خرج فاضل غير سعيد ببراءة المحكمة، ولكن ينتظر حكم براءة آخر من ابنه، خرج وأخذه المحامي للمقابر بدلا من أن يوصله لبيته، لم يفهم فاضل سبب ذلك، لكن المحامي قال له: "هتفهم لما توصل" واقتربا من قبره، قبر عائلته الذي دُفِن فيه أبوه، وهنا نظر للمحامي، الذي بدأ كلامه: "مدام إنجي حلّفتني ماقلش لك وماخليكش تعرف لحد ما تطلع، مدام

www.ibtesama.com/vb

إنجي طالبة الطلاق بس أنا متأكد إنها في حالة مش متزنة بعد كل اللي حصل"، نظر له فاضل وبكل جأش سأله: "إزاي؟" ردَّ المحامي: "وهو خارج من عندك في السجن حصلت الحادثة، ومدام إنجي صممت يندفن مع والدك هنا"، وبكل برود ودون دموع أو أي رد فعل واضح سأله فاضل: "العربية فين؟".

أمامك، أمام السيارة التي أصبحت خردة لا تستطيع تحديد معالمها وقف فاضل يتأملك، يتأملك دون أي رد فعل.. ظنَّ المحامي ينظر إليه يحاول قراءة مشاعره، وهنا باغته فاضل بسؤال غريب: "معاك سيجارة؟" لم يكن فاضل مدخِّنا طوال عمره، لكن المحامي إعطاه سيجارة، أخرج فاضل بعض المال وسأله "معاك ولاعة؟" إعطاه المحامي ولاعة، وهنا أشعل فاضل النار بأوراقه المالية، ظلَّ ينظر لها وأشعل بها سيجارته ونظر للمحامي "إنت عارف إني طول عمري باشرب سجاير وعمري ما قلت لحد؟" لم يردَّ المحامي الذي ظنَّ أن الرجل جنَّ، هنا اقترب فاضل منك، من السيارة، رمى فيك الورق المالي الذي ما زال يحترق، نظر إلى السماء وهو يدخِّن سيجارته في هدوء وبدأت بعض الأمطار في الهطول، وقعت أول قطرة على عين فاضل اليمنى، لتكون دمعة وضعتها السماء على عينه بدلا من دموعه التي لا تريد أن تخرج.

www.ibtesama.com/vb

أو ربما كان وراء هذه القطرة رسالة أخرى من السماء لا يستطيع فاضل بعد استقبالها بوضوح؛ لأن عينه كانت في مكان واحد.

عليك وأنت خردة ويهطل عليكِ المطر.

إمضاء /

شخص يعرف فاضل كويس

www.ibtesama.com/vb

رسالة لحلم اليوم

وواقـع يومـاً ما

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

دون مقدمات،،،

كُوني.

كُوني أنثى.

كُوني جميلة، ليس بالمساحيق والرداء الغالي الثمن، ولكن بأفعالك وأفكارك وأقوالك.

كُوني جميلة الشكل أيضا، سأكون كاذباً لوقلت أنه شيء لا يهمني، لكن هناك حداً معيناً من الجمال لا أريد أكثر منه، بعده سأجنُّ لو اشتهاك الرجال الآخرون.

كُوني متواضعة ولكن ثقي في نفسك، لا أريدك أن تشعري انني أعلى منك او ادنى، اريدك أن تعلمي أنه مهما احببتك لن تقف حياتي عليك، أريد ان اشعر أنه مهما احببتِني ستقف حياتك عليّ.

كوني قوية مع العالم ضعيفة معي، دافعي عني حتى لو لم أكن أحتاج دفاعك، وقادر على التغلب على المصاعب بدونك، كُوني لينة، أضعف من أفكارك إن اقنعتك بمضادها.

www.ibtesama.com/vb

كُوني ذكية، ألا تطمين أنني اشتهي المرأة الذكية أكثر مما أشتهي المرأة العارية، خصوصًا لو كانت قادرة على إقناعي وتغيير أفكاري بين الحين والآخر.

كُوني حقيقية، إن حاولتِ أن تكوني شخصا آخر فهذا يعني أنك لا تحبين شخصك، وإن كنت أنت لا تحبين شخصك فكيف سأحبها أنا؟

كُوني بسيطة غير متكلّفة، لا تقولي ما يقال في كلمة في جملة ولا تغضبي، أبدا، لا شيء يستحقُّ الغضب، حتى نهاية حبنا لا تستحقه.

كُوني متحمّلة لغضبي، أنا بشر أغضب، نعم أنا لا أريدك أنت أن تغضبي، لذا سأحاول جاهدا ألا أغضب، ولكن إن غلبني دمي سامحيني.

كُوني مثلي ولكن لا تكوني أنا.. لنكن متشابهين كما يتشابه ماء البكاء وماء المطر، إن رأيت أحدهما لن تقدر أن تميّز إن كان هدية السماء أم حزن العيون.

كُوني متكلّمة عندما أكون في حالة ملل أو فراغ فكري، هناك نشوة عقلية قد تكون أهمّ من النشوة الجنسية، النشوة الجنسية سهلة المنال، ولكن العقلية أصعب وأفرد وأقيم.

www.ibtesama.com/vb

كُوني أمي، أعطيني أمانها وحنانها عندما تشعرين بضعفي، قلت تشعرين؛ لأنني لن أخبرك، يجب أن تستشعري ضعفي دون أن أبوح لك به، أنا لم ولن أفعل.

كُوني ابنتي، عندما أتفلسف بنظرياتي وأفكاري التي أظنُّ أنها فريدة، انظري لي بانبهار كأنك طفلة في العاشرة ولا تقولي بعدها رأيك فيما قلته، فقط قبّليني.

كُوني ملاكاً معظم الوقت، ولا تنصحيني، أريدك مثلي الأعلى أريد أن أنبهر بك وأن أتباهى بك أمام نفسي.

كُوني شيطاناً بعض الوقت لأحس أنني أستحقك، أخطئي في حق الآخر، افعلي ما هو شرير ومحرَّم، واعترفي به، ودعي هذا يزعجني، أريدك شيطانا عندما نختلي ببعضنا في فراشنا، وأن تكوني غير متوقعة حتى لنفسك.

كُوني مجنونة، افعلي بين الحين والآخر أفعالا لا يمكنني تفسيرها، وبعد أن أطيل التفكير قولي لي كيف كان سبب هذه الأفعال حبك لي.

www.ibtesama.com/vb

كُوني عاقلة في أخذ قراراتك، أريد أن أتأكد من أنك قادرة على تربية أبنائي وبناتي، وأنني إذا وافتني المنية في شبابي -لأنني مؤمن أن هذا سيحدث- ستكونين قادرة على أن تكوني بعقل رجل وقلب أم.

كُوني عالمية التفكير، كُوني متفتحة على جميع الثقافات والأفكار ولا تكرهي الآخر، تحببينني فيه كلما كرهته أنا، اجعليني مسامحاً لأعدائنا.

كُوني متمسِّكة بمبادئك وإيماناتك الدينية والمجتمعية، اعرفي لماذا أنت متمسِّكة بها وساعديني في الدفاع عن مبادئنا عندما نهاجم أو ننتقد.

كُوني حافظة لكلام الأغاني التي أحبها وغنِّيها معي في سيارتي؛ حتى لا أحس إنني مجنون عندما أغنيها وحدي بصوت عالٍ.

كُوني محبة لعملي، ادرسيه وافهميه، إن كان الطريق لقلب الرجل معدته فإن الطريق لقلبي عملي، إن عملتِ فيه نافسيني، سأحبُّ ذلك.

كُوني ناجحة ومشهورة بتفوُّقك في عملك مهما كان، لك طموح تحاربين من أجله، مؤمنة به مستعدة للتضحية -حتى لو بي أنا- لتصلي إليه.

www.ibtesama.com/vb

كُوني دائما رفيعة وجذابة ولا تهملي جسمك، لا تختلقي الأعذار لتهمليه، واقتدي بالسيدات كبيرات السن اللاتي نراهن بين الحين والآخر في غاية الجمال والجاذبية.

كُوني خفيفة الظل وأضحكيني من قلبي، لتكن دعاباتك ذكورية، ليكن مجلسك مسلياً أكثر من جلسات أصدقائي الذكور، لتكن دعاباتك ذكية غير مكررة.

كُوني متعلمة ونلت قدراً كافياً من التربية وتتمتعين بحس ذوقي وعندك حياء العذارى دائما إن لم نكن على فراشنا.

كُوني فنانة وغنّي لي أغنية ألفتِها لي عندما أستيقظ، لا أطلب صوتا كلثوميا أو فيروزيا، لكن إحساس حب حقيقي دفعك لفعل ذلك، لذا سأستوحي المواقف الرومانسية في أفلامي من مواقفنا التي عشناها سويا.

كُوني ملائمة لي، لا أريدك كاملة، أنا أؤمن بأن الكمال لله وحده، وهنا على الأرض لا يوجد كمال أو حتى نقصان، لا يوجد شيء كامل تماما أو غير كامل، هناك شيء ملائم لتوقعاتنا وشيء غير ملائم لتوقعاتنا، توقعاتي ليست هينة، أنا أعلم ذلك ولهذا سأحارب نفسي لأن أكون ملائما

www.ibtesama.com/vb

أنا أيضا لتوقعاتك، لكني أعلم أنك إن كنت على مستوى توقعاتي فمن المؤكد أنني من تتوقعينه.

كُوني موجودة ولست فكرة حالمة خلقها طمعي.

كُوني الآن أو على الأقل قريبا.

المرسل/

كائن كان ويكون وسيكون حبيبك.

www.ibtesama.com/vb

رسالة من شخص آخر

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

أبدأ رسالتي بأسفي على تأخُّري في كتابتها.

كل يوم كنت أرجع إلى البيت فجرا ناظرا لهذه النوتة الصفراء التي تعرفينها وأتأملها وتداعبني فكرة كتابة هذا الخطاب لك كما وعدتك سابقاً، ولكني وعدتك أنني لن أكتبه إلا وأنا صادق، عندما أكون تغيَّرت فعلا.

لأصدقك القول، لم أفهم وجهة نظرك قبل اليوم، كان كل حديثك لي مصنَّفا بالنسبة لي تحت بند التلكيك والكذب، لا أصدِّق أنك تكرهين تشاؤمي، كيف تكرهينه وأنت كنت تحبينه؟ لقد كنت تحبين شعري المتشائم وأفكار أفلامي السوداوية حتى صوري التي كنت أريها لك في بداياتي كنت تحبينها كنت تحبين تصويري للعشوائيات والزبالة والخراب وأطفال الشوارع المجتمِع حول أفواههم الذباب.

كنت تحبِّين كل هذا، وبعد مرور السنين وحتى بعد تطوُّري إلى مصوِّر فوتوجرافي محترف أصبحت أعمالي تبهرك أقلَّ وتزايد نقدك لي ولفني ولتشاؤمي.

لقد طلبتِ البعد والسفر لأخيك في فرنسا إلى أن أبعث لك هذا الخطاب لأقول –صادقا- إنني تغيَّرت، إنني "استيقظت وتشمَّمت القهوة" أو

www.ibtesama.com/vb

"توقفت وشممت الورد" كما تقولين، وأنت تعلمين كم كنت أكره ترجمتك للجمل الأمريكية بسبب أنك تفكرين بالإنجليزية كما تقولين.

كنت تقولين انظر إلى السماء كيف رفعت أقول لك انظري إلى السحابة السوداء، تقولين لي انظر هذه القطة كنت أجزم لك أنها مسكن متحرك لملايين البراغيث، كنت تقولين إنك تحبين في السبعينيات روح التمرُّد وحبَّ البيتلز للحياة كنت أجزم لك بأن السبعينيات هي المخدرات واكتئاب ما بعد الحروب و"عفانة" بوب مارلي.

وعدتك بأنني لن أكتب لك قبل أن أزيح النظارة السوداء، ووعدتِني أنك سترجعين أنت لو خلعت النظارة الوردية لتري أن العالم أسود كما أراه أنا دون نظارة أو وسيط.

اليوم فقط قرَّرت أن أكتب لك، سأقصُّ لك ما حدث لي البارحة، قد يبدو طبيعيا أو عاديا، لكنك في نهاية الحكاية ربما تتفهمين سبب كتابتي للخطاب.

كنت أصوِّر في إحدى المناطق الشعبية منظري المفضَّل، الزبالة الملينة بالقطط الجياع، عندما رأني أحد المجاذيب ذوي اليد الواحدة بسبب بتر الأخرى، اقترب مني وعرض عليَّ عرضا لا يمكن أن أرفضه.

www.ibtesama.com/vb

قال لي إنه مقابل خمسة جنيهات مستعد لأن يجعلني أصوِّر حكايته مع مستشفى حكومي، لم أفهم، ولكنه قال لي إنه مستعد أن يذهب معي إلى المستشفى، ويمثل دور رجل مريض في حالة خطرة، ويرى كيف أنهم لن يهتموا به وسيرمونه؛ لأنه لا يوجد معه المال، وأنني أستطيع أن أصوِّر كل هذه الحكاية من بعيد.

شعرت بأنه رجل غريب مجنون متخلِّف، وخصوصا أن شكله لا يدلُّ على أي شخصية غير تلك التي تجمع هذه الصفات الجميلة سويا وهو يبتسم ابتسامة بلهاء مع كل كلامه، خفت منه، ولكنه قال لي إنه مستعد أن يأخذ جنيهين فقط، أعطيته الجنيهات الخمسة وقلت إنني لست مهتما، ولكنه رفض أن يأخذهم شفقة، وأمسك يدي بقوة وهو يعطيني الجنيهات وسألني "هتخسر إيه؟".

لم أجد إجابة لسؤاله فذهبت معه، دخلنا هذه المستشفى، أكاد أجزم بأنها بالنسة لي جنة التصوير، إنها مليئة ببشاعة أكثر بكثير من بشاعة أكوام الزبالة الملهمة التي أصوِّرها، ذهب الرجل وبدأ تمثيليته وأنا أصوِّره من بعيد، تعلمين أنني اكتسبت حرفة التصوير المتخفي من خبرتي الطويلة في هذا المجال، فعلا صورته إلى أن أخذوه إلى الخارج ورموه، وهنا دخل بسرعة وخلع بنطاله بسرعة وقام بالتبوُّل على أرض المستشفى وسط ذهول العاملين في المستشفى، ووسط ضحكه ولم يدرِ

www.ibtesama.com/vb

الممرضون ماذا يفعلون، إلى أن أتى أحدهم وظلَّ يضرب فيه إلى أن أعدمه العافية، هنا تظاهر المجنون صديقي بأنه قد أصيب بأزمة قلبية، ولكنه لم يكن يعلم أن تمثيله لن يغيِّر من الوضع شيئا ورموه في الشارع مرة أخرى.

لقد صوَّرت كل هذا، وكنت فرحا ومتعجِّباً من هذا المكان وهذا الرجل وهذه الأحداث، فخرجت له، تعجَّبت أن الكل يمرُّ بجانبه دون أن ينظر إليه، إنه يمثِّل ببراعة أنه ما زال مصاباً بالأزمة القلبية حتى بعد أن اختفى الممرضون والعاملون في المستشفى وهنا اقتربت منه، حاولت أن أفيقه من تمثيله الذي قد صدَّقه، أعطيته خمسة جنيهات أخرى وقلت له إنني سأتركه وأغادر وشكرته، وبدأت أبتعد عنه، لكن بعد ابتعادي نظرت خلفي لأجد أنه مازال يمثِّل أنه في أزمة فاقتربت منه بسرعة، هذا المخبول مصاب فعلا بأزمة، أزمة قلبية شديدة.

دخلت به المستشفى حاملا إياه ثم نظر الممرضون بتحفُّز، من الواضح أن هذه ليست المرة الأولى له التي يقوم بتمثيل هذا الدور لهم، لم يصدِّقوا أنه في أزمة حقيقية، عرضت عليهم المال، لكنهم قالوا لي إنه لا يوجد في المستشفى الآن أي طبيب متخصِّص، حيث إن كلهم في إجازات أو "مستأذنين"، هذه أول مستشفى أراها في حياتي بها كل المهن عدا الأطباء، هل ترى موقع بناء دون مهندسين؟ أو كباريه دون راقصات؟

www.ibtesama.com/vb

أخذته إلى معهد القلب في العجوزة ودخلت حاملا إياه، وجدت اهتماماً مختلفاً ودفعت أكثر من ثلاثمائة جنيه تحت الحساب، وأخذوا الرجل وأدخلوه غرفة ما ووضعوا سريره بجانب الشباك، وطلبوا مني أن أكون بجانبه إلى أن يأتي الطبيب ليفحصه، وجدت الرجل يزيح قناع الأكسجين من على وجهه وينادني، اقتربت منه فطلب مني أن أفتح الشباك، فتحته فنظر إلى السماء، في هذا اليوم الرمادي المليء بالسحب ظلَّ يراقب الشمس وهي تكاد تظهر من خلف أحد السحب الداكنة، عندما ظهرت الشمس وظهرت أشعتها الطويلة من خلف السحاب نظر لي ثم لها وقال لي وهو يبتسم.. "أليس هذا يوما جميلا".

دخل الطبيب ليفحصه ليجده جثة هامدة.. لكن جثة هامدة مبتسمة.

جلست أمس كله سارحا، لماذا كان هذا الرجل سعيدا؟ إنه لا يملك شيئاً، لوعرضوا عليَّ ملايين المليارات لأحيا حياته أو ليأخذوا مني ذراعي لأكون مثله لن أوافق؛ إذ يدي تساوي لي ما هو أغلى من تلك المليارات، إذن ماذا تساوي عيني؟ وعقلي؟ وكل ما أملكه؟ مليارات أكثر وأكثر وأكثر، علم الحساب يقول ذلك، طننت في حين أنني لا أملك كل ما يمكن أن تعطيه الحياة للإنسان، لكنني أملك الكثير، لو كنت أملك ما هو أثمن من المليارات إذن أنا أملك كل شيء، ربما عدا شيئا واحداً، هذا الشيء الواحد هو أنت.

www.ibtesama.com/vb

أنا الأن أؤكد بصدق أنني شخص آخر، قد أكون جُننت وأصبحت مثل الرجل، نعم قد يكون هذا جنونا وليس تفاؤلا، وأظنُّ أنك ستبتسمين وأنت تقرئين هذه السطور، إنني أتخيل انتظاري لك في المطار تحت الشمس التي تختفي خلف تلك السحب الرمادية الجميلة، وأجدك أتية تبحثين عني بعينيك الواسعتين، إلى أن تجديني فتقفزي بقوة لتحتضنيني، تحتضنيني بعنف، كما فعلت دوما.

إمضاء /

شخص أصبح كما تريدين.

www.ibtesama.com/vb

رسالة تحت المخدة

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

لا أعلم إن كنت وجدت هذه الرسالة بعد استيقاظك وأنت تمددين يديك كما تفعلين كل صباح أم إنك وجدتها وأنت تنظّفين الغرفة أم وجدها رامي وهو ينام مكاني كما يفعل يوميا بعد أن أذهب إلى العمل.

لا أعلم هل تقرأينها قبل شربك لكوب النسكافيه أم بعد شربك له، أنا أعلم أنك تصبحين إنسانة جديدة بعد أن تشربي هذا الكوب الذي أصبح لك كمثل حقنة الكوكايين لشخص بدأ الإدمان من سنّ الناشئين، وظلّ حياته يعشقه كما يعشق العشاق بعضهم في أفلام الأربعينيات.

أفضّل أيضا أن تذهبي إلى البلكونة وتقرأي هذه الرسالة هناك؛ فأنا أظنُّ أنَّ هذا سيكون أفضل لك.. أنا أعلم كيف يمتعك صوت الضجيج في الشارع وصراخ بائعي الفجل وصياح أخصائي الروبابيكيا الذي تحبّين النقاش معه كما تحب مذيعة برنامج (في بيتنا نجم) أن تتناقش مع النجم.

لماذا كنت أشاهد هذا البرنامج السخيف معك كل أسبوع، لماذا دفعت دم قلبي في الدش والديكودر والدي في دي، وأنت تحبين هذا البرنامج المملّ الذي بخل صانعوه في إيجاد مكان لتصويره، فقاموا بشحت بيوت العائلات السذّج جائعي رؤية المشاهير.

www.ibtesama.com/vb

فلنفترض أنه يذكِّرك بجلساتك مع والدك -ألف رحمة ونور عليه- لكن لماذا أشاهده أنا؟ إنه لا يذكِّرني بشيء إطلاقا، ربما فقط يذكِّرني بعسر الهضم أو الحموضة أو البلغم الرافض للخروج.

من الواضح أنني خرجت عن سياق الموضوع وربما أنت تتمتمين ببعض شتائمك التي لم أسمعها قط غير منك -ومن زينات صدقي أحيانا- مثال "بوز الإخص" و"عبيط الزريبة" و"موكوس المواكيس".

سأدخل في الموضوع، هل تذكرين عندما كنا نشاهد فيلم أرض النفاق سويا؟ هل تذكرين كيف تشاجرنا؛ لأنك تريدين أن تشاهدي حلقة معادة من (اخترنا لك)؟ ولأنك دائما كرهتِ فؤاد المهندس، بالرغم من أنك كنت تحفظين أفلامه عن ظهر قلب، لكنك كرهتِه لأنني أحبه "عندا فيَّ"؟ هل تذكرين عندما ابتلع حبوب الشجاعة؟ هل تذكرين كيف كان شجاعا وتصدَّى لزوجته المتزمتة سليطة اللسان؟

لو كانت حبوب الشجاعة هذه حقيقية وليست من وحي خيال يوسف السباعي -كاتب قصة الفيلم، أعلم أنك لم تسمعي عنه؛ لأنه لم يزر قط برنامجك المفضل (في بيتنا نجم)- لكنت بعت كل ممتلكاتي وبعت ملابسي الداخلية لأشتريها وأرجع البيت لأواجهك.

www.ibtesama.com/vb

لكن مع الأسف لا يوجد حبوب شجاعة ومع الأسف ظلّ الحال كما هوعليه لأكثر من عشرين سنة، أعتقد أنه لو كان الله أدخلني النار بسبب المعاصي التي قد قمت بارتكابها ثم رأى معاناتي لمدة عشرين سنة معك لكان غفر لي وسامحني وأدخلني جنة الفردوس.

لا أعلم إن كنت أنا من أعطاكِ كل هذه القوة بصمتي وحبي للبعد عن المشاكل أم إنني خُدعت واستُغفِلت وكنت ضحية عملية نصب قام بها العالم ليزوِّجني لك، كيف بعد أن قال المأذون كلماته الأخيرة خلعتِ هذا القناع وظهرت على حقيقتك التي لم يكن يعلمها غير الله؟

هل هي غلطتي انني تحمَّلت؟ هل كان يجب أن أقف وأصيح وأعترض منذ بدأتِ أنت في التغيُّر؟ هل هي غلطتي انني كنت وديعاً وأريد ان الطُّف الأمور دائما؟ ولم أفرغ شحناتي إلا في صلواتي عندما كنت أدعو الله رب العالمين أن يهديكِ، وأستيقظ لأجدك هذه الفراشة التي التقيت بها قبل الزواج؟

لم تحوَّلتِ؟ هل يأتي ملاك كيوبيد ليصيب النساء بعد الزواج بسهم اللامبالاة والنكد، ثم يعطيهم هذا السهم قوة الوحوش وغضب الثيران وكره الأغلبيات للأقليات؟

www.ibtesama.com/vb

هل تذكرين خجلك عندما دخلت بيتكم مرة ووجدتك قبل أن تتزيَّني لي؟ رأيتيني فاحمرَّ وجهك عندما فتحت لي أختك الباب ودخلت دون أن تعلمي، لم يكن على وجهك شيء من الزينة المزيَّفة، ورأيتك لأول مرة كما خلقك الله، ولكن مع حمرة جميلة، صنعها الخجل والأخلاق الحميدة.

أتذكَّر يومها عندما رجعت بيتي حضنت وسادتي وابتسمت، لم يعنيني حرُّ الصيف ولم يعنيني أن علبة سجائري خاوية، وظللت أبتسم الليل كله؛ لأنني سأرى هذا الوجه طيلة حياتي.

أتذكَّر عندما كنت أتأمل وجهك ونحن سائران في شارع الشواربي، وعندما نظرت أمامي خبطت في عمود لم أعلم سبب وجوده في نصف الشارع، أتذكَّر أنني جُرحت جرحا بسيطا لا يُرى بالعين المجردة، فرأيتك تبكين كما يبكي الخواجة عندما يخسر فريق الزمالك، أو كما تبكي ممثلتك المحبوبة في كل أفلامها.

هل تذكرين عندما كنت تسكبين زجاجات اللبن في الحوض بين الحين والآخر لتتحججي أمام أمك وتنزلي لتبتاعي اللبن لأراكِ لمدة لم تزد قط عن سبع وعشرين دقيقة وخمس ثوان، عندما كان الدكان مزدحما بسبب عيد الكحك؟

www.ibtesama.com/vb

هل تذكرين كيف جمعتِ كل نكت أحمد رجب ومصطفى حسين وقمتِ بقصها بحرص من الجريدة عندما علمتِ أنني لا أقرأ غيرها في صفحات جرائدنا الكاذبة؟ ووضعتِهم جميعا في ألبوم، وأعطيتني إياه قبل عيد ميلادي بشهر؛ لأنك لم تقدري على الانتظار واضطررتِ لأن تأتي لي بساعة فالصو في عيد ميلادي؛ لأن ضميرك كان سيؤلمك إن لم تعطني شيئا في هذا اليوم؟

لا أستطيع أن أنسى أنك شربت القهوة لأول مرة في حياتك؛ لتستطيعي أن تظلي مستيقظة لتستمتعي بمكالماتنا الليلية لعدد أكبر من الساعات، عندما كنت تضعين السماعة على أذنك، وأتكلم أنا وأحكي قصة حياتي منذ ولادتي إلى أن صارعت تنين الجبال، وأدرك أنك نمتِ في ثاني كلمة في حكايتي، وكنت تمضين اليوم التالي كله في أسف وبكاء، وأنا أحلف لك أنني لست غاضباً منك.

هل تذكرين كيف كنت تنظرين وكيف كنت تبتسمين فرحا دون أي سبب؟ هل تذكرين عندما كنت تضحكين على نكتي السخيفة ودعاباتي الرذلة التي لا تُضحك أحداً؟ هل تذكرين كيف كنت سعيدة بأي هدية مهما كانت رخيصة، وأي مغازلة مهما كان غباؤها، وأي كلام مهما كان سطحياً، وأي أكلة وأي أمسية وأي شيء.

www.ibtesama.com/vb

لكنني الآن يستوقفني شيء، أنا لم أصبر بسبب ضعفي أو بسبب خوفي أو سلبيتي، ولكن بسبب هذه الذكريات الجميلة التي رسَّخت حبي لك، التي كانت كالأعمدة لعلاقتنا المتوترة، وجعلت علاقتنا كبناية أقوى من كثير من الزلازل ومن الأعاصير ومن مرور التروليهات أمام بيتنا في حلوان.

لقد كنت أنظر لك وأنت نائمة، وأتذكَّر هذه الذكريات بسبب شَعرك، نعم، لقد تغيَّر كل شيء فيكِ باستثناء شَعرك، ظلَّ جميلا بالرغم من كل عوامل التعرية، وبالرغم من هذه الشامبوهات الرخيصة التي أبتاعها لك قبل أن تقولي لي "ياما جاب الحمار لأمه" -ألم يكن المثل يتضمَّن غرابا بدلا من حمار؟- وتعنِّفينني لأننا يجب أن ندَّخر كل نكلة لندفع ثمن دروس رامي، لكنني أحبُّ شَعرك، هو عزائي الوحيد حيث إنه الشيء الوحيد القادر على تذكيري بالماضي، ورائحته التي أتشمَّمها خلسة هي التي تنقلني بآلة الزمن إلى هذه الذكريات التي تشبع قلبي وترضي وجودي.

ياه.. كم كنت أحبك! وكيف تثبت لي هذه الذكريات أنني ما زلت أحبك! وكيف تقنعين رائحة شَعرك التي أتشمَّمها الآن بالرغم من أنك لست جانبي أنني مفتون بك! ليس بصورتك القديمة ولكن حتى بعد تحوُّلك.

www.ibtesama.com/vb

لأول مرة منذ سنة يؤلمني ضميري لأنني دخلت في هذه العلاقة غير الشرعية، نعم، لقد كنت أتلذَّذ بها، كنت أتلذَّذ بخيانتك، وكانت خيانتك تعطيني بسمة كلما أرجع البيت وأراكِ تصرخين وتتشاجرين.

كنت أشعر بأنني أخذت حقي منك ومن الدهر ومن العجز ومن الفقر ومن كل ما يضايقني، طوال هذه السنة داخلي شعور يقول لي إن الله سيسامحني على هذه العلاقة، ما دمت أنا صامت وأعاملك بالحسنى طوال هذه السنين، لكنني الآن وأنا أكتب هذه الكلمات أشعر لأول مرة بأنني لست مسامحا لنفسي؛ لأنني أحبك.

لهذا لن أذهب اليوم، لن أجمع حقيبتي ولن أغادر قبل ظهور الصباح، وقبل نباح كلب شارعنا ذي الرَّجُل الواحدة الذي يوقظك، لن أذهب لمحطة مصر، لن أقابلها وسأدعها تنتظر أمام المحطة حتى لو انتظرت الدهر كله، سأتركها للأبد، لن أردَّ على مكالماتها ولن يغريني جسدها ولن يستعطفني بكاؤها، سأترك جمالها لأنعم بالحياة معك ومع ذكرياتنا، حتى إنني لن أكمل هذه الكلمات، وسأقطع هذه الورقة الغبية الصماء، وأذهب لأنام بجانبك وأتشمَّم رائحة شعرك الجميلة.

إمضاء /

زوجك الحبيب.

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

رسالة لن تُقـرأ

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

بعد أكثر من تحية،،،

لا تسألني عن سبب كتابتي لهذه الرسالة، لا تُحرجني ولا تضعني في هذا الموقف الضعيف المؤلم، أكتب لك هذا وأنا أعلم أنك لن تقرأ حرفا منه، هل أنا مجنون؟ لكني سأجنُّ فعلا إن لم أكتب هذه الكلمات، وأخرج هذه المشاعر المكتظَّة بداخلي، إن المشاعر داخلي تحترق كالحمم البركانية، سأحترق إن لم أطردها.

أنا أؤمن بالطاقة، أؤمن بأن هذه الطاقة تنتقل بطرق لا تخطر على بالنا، تعبر المحيطات والأزمان والعقول، أؤمن بأن الطاقة التي بداخلي وأنا أكتب هذه الحروف ستخترق المعتقدات والقواعد البشرية المادية، وستصل إليك، وستصل لك كل المعاني التي أكنُّها لك.

سأحكي لك حكايتي معك، الاحتمال الأكبر أنك لا تعلمها؛ لأنها كانت قبل مولدك، مولدك الذي كان مماتك أيضا.

عندما نظرت لأمك لأول مرة، علمت في غضون بعض الثواني أنها ستكون زوجتي، وقبل حتى أن أعلم اسمها أو صفاتها، لكني علمت ذلك، وأظن رغم كذبها الدائم حول هذا الشأن، ولكنها شعرت بنفس الإحساس، ولكن كبرياءها يمنعها من البوح أنها أحبتني أيضا من أول نظرة، وفي

www.ibtesama.com/vb

خلال هذه الثواني، وأنا أنظر لها لأول مرة تخيَّلت وجهك، في معادلة بسيطة وضعت وجهي + وجهها وقسمتهما على اثنين، علمت في هذه الثواني كيف سيبدو أولادنا وخصوصا ابننا الأول... أنت.

بسببك شبَّت أول مشاجرة حقيقية بيننا، بعد زواجنا بشهر واحد تشاجرنا بسببك، لقد وعدتها بأنني لن أريد الإنجاب قبل مرور عدة سنوات، كان اتفاقا بيننا قبل الزواج، لكن تخيُّلي وجهك واشتياقي إلى حَملك جعلني أفاتحها في هذا الموضوع مرة أخرى، لكنها لمَّحت لي برفضها، أصررت على موقفي في الوقت الذي نعتتني فيه بـ"العيل" وكان وقع الكلمة كبيرا على قلبي، تخاصمنا، لم نتكلَّم لمدة ثمانية أيام وإحدى عشرة ساعة وبعض الدقائق، إلى أن أتت ولمست يدي، نظرت في اتجاه التلفاز، ولكنها مدَّت يدها الأخرى لتجذب وجهي لتلتقي أعيننا وتقول لي.. "هنسمِّيه إيه؟".

لن أخجل أن أقول لك إننا نظرنا للسقف ونحن الاثنان على مضجعنا ممسكين بأيدي بعضنا بعضا بعد أن بذلنا كل مجهودنا لتكون هذه الليلة الجميلة المليئة بالعاطفة السبب في مجيئك، ظللنا إلى الصباح نفكِّر في أسماء شيقة لك، أسماء جديدة مميزة، أسماء لن تكون مجالاً للسخرية منك في يوم من الأيام، أسماء ستليق بوضعها قبل اسمي، أسماء

www.ibtesama.com/vb

ستحبها أنت، لم أسمح لأمك أن تفكّر في أسماء بنات، لقد كان بداخلي يقين من أنك ستكون ذكراً.

عندما ذهبنا الى الطبيب أول مرة كدت أبكي وهو يقول لي الخبر، لم ولن تعلم أمك هذا، رسمت على وجهي ضحكة، لكن الأحاسيس التي كانت بداخلي كانت أقوى من الابتسام أو الضحك، كانت هذه الفرحة العارمة بداخلي لا يناسبها إلا البكاء ولكني أمسكت نفسي بكل قوة حتى إنني أحسست بوجع في عيني، نظرت لي أمك وحاولت هي كبت ابتسامتها حتى لا نظهر أمام الطبيب - القريب لأمك من بعيد- كطفلين فرحين بلعبة جديدة، لكننا كنا كذلك فعلا ولكن أكثر طفولية وأكثر فرحا.

قرأت مرة في كتاب اللغة العربية في طفولتي جملة تقول "البعيد القريب" ولم أفهمها، حلّلها علماء النحو واللغة أنها استعارة ما، لم أكن خبيرا في هذه الشؤون، لكن في فترة الحمل وعندما بدأت تكبر في بطن والدتك مخدعك الأول بدأ البعد الجسدي بيني وبينها، وأصبح مزاجها متقلبا غير متوقّع، لكن كان كل هذا يحبّبني فيها أكثر، لا يستطيع العقل البشري تحليل نفسه في بعض الأوقات، كانت تنام وكنت أذهب لأراقبها وفي يدي كوب القهوة، أنظر لها وهي نائمة، يزداد حبي لها، يزداد تقديري لها، إنها تحملك الآن في داخلها، تحمل الأمانة إلى أن تخرج في يوم ما، هذا اليوم الذي ستشتاق فيه لي كما اشتقت لك، فتخرج لترتمي

www.ibtesama.com/vb

في أحضاني، وأسمع صوت بكائك لأترجمه كقصيدة شعرية تلقيها عليّ بعد غيابك عني هذه الأشهر العديدة.

سرٌّ آخر لم تعلمه هي، لقد قمت ببيع جزء من حصَّتي في شركتي الصغيرة الخاصة لشركائي، لأجهِّز لك غرفتك، قالت لي إني أسرف ولكني لم أقتنع، بل بالعكس، لطالما أنَّبني ضميري وأحسست بأن هذا ليس بكافٍ، بعد أن اشتريت اللعب والملابس، خفت، خفت أن تكون حالتي المادية سيئة فيما بعد، فاشتريت كل ما ستحتاجه في سنينك الأولى، اشتريت لك أيضا بعض الكتب والكرات وبيانو صغيرا، وتخيَّلت أصابعك الرقيقة وهي تضرب عليه في عدم فهم؛ لتخربه قبل أن تتعلم اللعب عليه فابتسمت.

قال لي الطبيب أن أتوقع مجيئك في غضون الأسابيع القادمة، كان هذا أكثر الأخبار إرباكا لحياتي، لقد نسيت النوم، وأصبح مشهد من فيلم خيال علمي أن أرى نفسي نائما، حتى وأنا نائم أنا لست نائما، تمدَّدت كثيرا بجانب أمك أمسك يدها وأفكِّر فيك، وفي مجيئك، كتلميذ خائف من امتحان الفيزياء في الثانوية العامة، أتتني أنواع جديدة من الأفكار.

www.ibtesama.com/vb

كيف سأحيا وعيناك تراقبني لتتعلم مني، كيف سأعامل الناس أمامك، كيف أعامل أمك لأحثك على احترامها، هل سيكون جلبي لك خدمة لك ولي وللبشرية، أم سيتحول للعنة عليك أو عليَّ أو على الناس أجمعين؟ كيف سأمنع هذا؟ هل أستطيع؟

كان اليوم، أخذت أمك وهرعت إلى المستشفى وأتى إلى مخيلتي عساكر أمتنا وهما يعبرون قناة السويس ليهدموا خط بارليف، لا أظن أن ما كانوا يفعلونه في تلك اللحظات أهم لهم من أهمية إيصال أمك لبرِّ الأمان ومجيئك لي، وقفت في ركن غرفة العمليات لأشاهد الولادة، لا يجب أن يسمُّوها بالعملية، إنها معجزة، مَن هذا ضيِّق الأفق الذي لا يراها معجزة، دخلنا هذه الغرفة ثمانية أفراد وسنخرج منها تسعة.

أكاد أحلف بأنني شعرت بكل ما شعرت به أمك، لم يكن جسمي يتألَّم ولكن عقلي تلقَّى كل إشارات التألُّم الجسماني التي أحسَّت هي به.

أعتقد أن سرَّ الحب الأعظم هو هذا العذاب ودونه لن يكون الرابط بهذه القوة، لن تصبح حريصا على مالك إلى أن تتعب في الإتيان به، لن تعرف قيمة الأشياء إلا بعد دفعك ثمنها، أو بعد فقدانها.

www.ibtesama.com/vb

عندما رأيتك في الحضّانة لأول مرة أحسست بشيء غريب، عندما رأيتك ساكنا، لا تتحرّك، لا تتنفس، وصلتني المعلومة دون أن يتعب أحدهم لسانه ليخبرني بها، صمتُّ أنا، صمت فمي وصمتت عيني وصمتت أحاسيسي.

صمتت أمك وصمت الزوار والطبيب والتلفاز، لقد أصمت أحدهم العالم أو أصمت أحدهم الحواسَّ، صمتت الضوضاء، حتى أصبح للصمت صوت، صوت ضوضائي مزعج ومؤلم وموجع.

أول ما شعرت به هو يد أمك وهي تربِّت على يدي، لم أحرِّك ساكنا، ولكن ملامسة يدها ليدي ولدت هذه الطاقة التي أكتب بها هذه الحروف.

أخرج لك هذه الكلمات لأقول لك إني أحبك، إنني مع كل هذا لا يستطيع عقلي تصديق كل هذه الماديات غير الحقيقية، أعلم أنك هنا، حيث أنا الآن، حيث هذه الكلمات، حيث هذه الكواكب، حيث البشر والعوالم والرب، إننا متلاصقان، بعيدان قريبان لا أعلم كيف يسمي علماء اللغة هذا الشعور، أنا الآن أنت وأنت أنا، أعلم أنك تسمعني وأنتظر سماعك لي، وردَّك عليَّ، ولو أنني أعلم أنني لن أتلقيه بطريقة مادية ولكن حسية.

www.ibtesama.com/vb

فلينعتني العالم بالجنون، ولكني أسمعك تقول لي إنك تحبني مثلما أحبك.

كلمتان أخيرتان، لا أستطيع شرح أسبابهما أو فائدتهما..

آسف.. وشكرا.

إمضاء /

والدك.

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

رســـــالة

من وإلى نفس المرسل

١١٧

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

بعد تحية منك وإليك،،

أكتب لك هذا وذكرى تتلوها ذكرى تتلوها ذكرى أخرى، ليصبح سيل من الذكريات التي تذكِّرك بحلاوة ومتعة اللحظة القديمة المؤثرة، اللحظة التي تركت فيك بصمة أو جرحا.

طالما سألت نفسي هل الذكرى السعيدة شيء مفرح أم محزن، مفرحة لأنها تذكِّرك بمتعة أم محزنة؛ لأنك لن تستطيع أن تعيشها الآن لاختلاف كل شيء، لم يعد هناك نفس البشر، لم يعد هناك نفس الظروف، لم تعد أنت نفسك، أنت.

أتذكَّر الآن، بعد أن تعلَّمت القيادة مباشرة، عندما كانت قيادة السيارة تعطيك شعوراً بالتحرُّر، بعد أن تفتح النافذة المجاورة لك وتجعل وجهك يرتطم بنسيم الصيف الجميل، بعد اختيارك للنزول قبل المغرب بلحظات؛ لأن الشمس الحارقة تودِّع اليوم، ولأنك استيقظت منذ عدة دقائق أيضا.

تضع أفضل موسيقاك، السريعة والمحمَّسة منها بالأخص، تعلي الصوت، تتمنَّى أن تكون سماعات سيارتك قوية لتُسمع كل الكوكب ما تسمعه الآن، تجعلهم يسمعون ويغنُّون كما تفعل الآن غير مبالٍ بأي شخص

www.ibtesama.com/vb

يراك وينتقدك وينتقد جيلك عندما يرى شاباً صغيراً يغنِّي بأعلى صوته في سيارته غير مبالٍ بالطريق أمامه، المهم متعة اللحظة.

الأغنية تقول "أتذكَّر هذه الفتاة التي كنت أعرفها.. ونحن نغني أغنيتنا المفضلة.. إنها الفتاة ذات العيون البنية"..

الشمس لم تغرب كليا، لطالما كان هذا أفضل وقت في اليوم، الشمس موجودة، لكنها أصبحت حنونة، لا تريد أن توذيك الآن، تعطي لوناً أصفر جميلاً، تحاول أن تصالحك بعد أن كانت قاسية بأشعتها منذ عدة ساعات، تترك لك شعوراً طيباً حتى تشتاق إليها وتنتظرها غدا.

أنت ذاهب لهذه الفتاة، أو للأخرى أو للأخرى، بعد أن تكتسب بعض العمر والخبرة تعلم أنه نفس السيناريو الممتع المؤلم الذي احتار المفكرون والفنانون في تفسيره، إنك تقود بسرعة، لا تنظر للعداد، تغنِّي وتحلم وتتساءل: هل سيدوم هذا غدا؟ هل سأحبُّها غدا؟ هل سأتزوَّجها كما حلمت بالأمس؟ هل أحبها؟ أم هل أنا أكذب على نفسي؟ هل أنا أعلم أنني لا أحبها ولكني أكذب عليها؟ إذا فسأتركها، لكنني سأفتقدها وسأحزن عليها ولربما أبكي إن فعلت ذلك، إذن أنا أحبها؛ إذ بي أعلي صوت الموسيقى أكثر، أحب هذه الأغنية، هيا إذن أفتح النافذة أكثر، أريد أن أضاعف تأثير كل شيء لعلني أتذكَّر هذه الذكرى غدا أو بعد غد،

www.ibtesama.com/vb

لأسعد نفسي المستقبلية أو لكي أعلمها وأذلها وأخبرها بأنني استمعت الآن أكثر مما تستمتع هي.

الآن تتذكَّر، تتذكَّر هذا كله، تتذكَّر أكثر مما يجب، تتذكَّرهم جميعا، تتذكَّر أشكالهم، تتذكَّر طريقة كلامهم وطريقة مشيتهم وطريقة إزاحتهم لشعرهم ليضعوه خلف آذانهم، تتذكَّر كيف يقبلون في صمت خجول جميل مسكة يدك ليدهم، يصمتون ليقولوا لك أحبك، لكنك ما زالت تتساءل، لا تستطيع التوقُّف عن تساؤلاتك، إنك تفسد اللحظة، أو إنك لا تريد أن تتأكد إنك تعيش أجمل لحظات حياتك، بغبائك لم تقدرها ولكنك تفعل الآن.

تتذكَّر هذه، هذه بالذات لا تنسى كيف كانت تتمايل بطريقتها عندما تراك من بعيد، إنها تعلم أنها تغريك وأنت تعلم أنها تعلم أنها تغريك، أنها تقول لك بمشيتها "أنا لا أمشي بهذه الطريقة إلا عندما أراك"، تصدَّقها، من خلال صمتك وولهك ونظرتك الثاقبة تصدِّقها، تحبها بردائها الأبيض الضيق الذي تحبُّه، تعلم أن هذه الذكرى لن تُنسى، بسرعة تبدل الموسيقى في سيارتك، هذه الحالة لا تناسبها الموسيقى الصاخبة وأنت تعلم هذا جيدا، تدخل سيارتك وهي تحاول إخفاء ابتسامتها في وضوح، تقول لك بهذا إنها راضية، إنها لا تريد أي شيء أكثر من ذلك، لقد ظلَّت في بيتها أكثر من ساعة لتبدو بهذا المنظر، لقد علمت هي للتو من خلجات وجهك أنها نجحت، إنها فرحة، ليست مهتمة أين ستذهب بها،

www.ibtesama.com/vb

وكل اهتمامها كيف ستتشاجر معك اليوم، لتستلذَّ وهي تصالحك، أنت تعلم هذا وتنتظر هذه اللحظة، أنت تحبها وهي تصالحك وهي تعلم ذلك.

تتذكَّر الأخرى، الغريب أنه نفس الوقع على قلبك، هل هو الحنين للماضي أو الشجن غير المبرر أو هو شعور جديد نسي علماء اللغة إدارجه بالقاموس والمعاجم، تتذكَّرها وتتذكَّر وجهها الأبيض المكتنز بعض الشيء، وشعرها الذهبي، هي لا تحب النور، تحب أن تراك أمامها دون أن تنظر لها أنت، تحب أن تتأملك وتتأملك بقوة حتى تعلم أنت ذلك وتستشعره، تقول لك بتأملها إنها منبهرة بك، إنها تراك كل الأبطال، ترى فيك كل ما هو ليس فيك، وتتمنى أنت أن يكون فيك، أنت بطلها، هكذا تحب أن تخبرك، فقط بنظراتها، فهي خجولة وأنت تحب اقتحامها من حين لآخر، بكلمة تصدمها، بلمسة غير متوقعة تجنب انتباهها، تشعر بنشوة الانتصار مع احمرار وجهها، لا تحاول هي إبهارك وأنت تحاول إقناعها بنظراتك أنك منبهر بها كانبهارها بك ولكنك لا تنجح، انبهارها بك أقوى، وكلاكما تعلمان ذلك، ولكنها تختار أن تصدِّقك وأنت تختار أن تحبها، هل أنستك الأولى؟ لا.. لكنها نجحت في أن تجعلك لن تنساها.

تتذكَّر من كانت بعدها، إنها الأقرب في الزمن والأقرب للعقل والقلب، إنه نفس الشعور، هذا الشعور ليس بيتا لأحد، إنه فندق مجَّاني تستضيف فيه من تشاء، لكنك تقول العكس وتحلف وتقسم، ووقتها تكون فعلاً

www.ibtesama.com/vb

صادق، إنه ما في قلبك، ولكن الوقت هو السفاح الحقيقي، يقتل كل خططك ويذبح كل آمالك، لكنك أيضا تحبه هو الآخر، هو الشاهد الوحيد على كل ذلك، تتذكَّر ضحكتها، هذه هي الضحكة الأحلى والأجمل، تتذكَّر كيف كانت تعنِّفك، تسبُّك، تتطاول عليك، تتعالى في نفس الحين، أنت لا تبالي تماما، أنت تعلم أنك كل حياتها، أنت تعلم أنها تجلس مع أصدقائها فقط لتحكي لهم عنك، أنت تعلم أن كل عائلتها لا يصدِّقون ما فعلته بها، أنت تعلم جيدا أنك محور حياتها، حلم حياتها أن تعمل تحت أمرك وأن تطبخ أكلك، وأن تهتم بك كطفلها، وأن تستمع لأوامرك كوالدها وحتى أكثر من والدها، إنها تتعالى عليك، لتخفي كل هذا، تعلم أنها إن أظهرت هذا ستصبح عارية بلا قيمة، لا تعلم أن هذا هو ما يجعلها عندك كالذهب والماس.

ثم تأتي الحياة وتلعب معك، الحياة التي تضحك كلما قمت أنت بتخطيط خطة جديدة، الحياة تلعب معك كما تلعب بنملة مسكينة، أنت لا تحرِّك النملة، ولكنك فقط تضع يدك هنا وهنا لتجعلها تسير في الاتجاه الذي تريده، أم إنك تقول هذا لتجد شمَّاعة أخرى تعلِّق عليها اختياراتك.

أنت ستتذكر هذه اللحظة التي لم تنم فيها لتكتب هذه الحروف، عالما أنه في يوم ما ستقرأ كل هذا وتضحك وتبتسم وأنت مع ذكرى أخرى، قد

www.ibtesama.com/vb

تكون هذه الذكرى الجديدة أجمل، أرفع أو أسمن، قد يكون ما يبهرك فيها جمالها أو عقلها، طموحها أو حبها لك، قد تكون قريبة أو بعيدة، الاحتمال الأقرب يقول إنها ليست بقريبة على الإطلاق، لن تكون واحدة من هؤلاء الذكريات القديمة، الاحتمال الأوقع يقول إنها ستكون جديدة، لطالما أحب: الإنسان رائحة فرش السيارات الجديدة والغطاء البلاستيكي الشفاف والعداد الذي لم يجتزْ ألف كيلو، هل هذا طمع؟ أم شرّ؟ هل أنت كاذب أم مجرد أنك تصدِّق أكبر مخادع عرفه الإنسان، هذا المخادع الذي هو أنت...

قلبي.

المرسل /

أنت.

www.ibtesama.com/vb

رســالة

لجمهور البهلوان

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

جمهوري الحبيب،

أحييكم بتحيَّة مثل التحيات التي أسمعها منكم قبل كل عرض وبعده.

كما تعلمون لم يكن أحد في التاريخ قادراً على استخلاص الضحكات من أفواه البشر مثلي، حتى إن البعض يكاد يجزم أن الكلاب والقطط تضحك من نكاتي وحركاتي.

حركاتي التي ظنَّ البعض أنها محسوبة من خبير رياضي وفيسيولوجي، حتى يكون لها قمة التأثير على خلايا العقل المسببة لفعل الضحك.

تعرفون عن عروضي وما كُتِب عني، ولكني هنا لأخبركم بالحقيقة التي لا تعلمونها، قصتي التي لم تُكتب ولم تُنشر من قبل، كل القصص التي سمعتموها أنا من ألَّفها لأرسم لنفسي مشوار ساحر ورحلة نجاح خلابة لكنها لا تشبه الحقيقة في شيء.

البداية كانت في المقهى، كان يحبني جميع مرتادي هذا المقهى الذي يقع في حارتي الفقيرة، كان جميع الرجال ينتظرون هذا الوقت من اليوم الذي يذهبون فيه للمقهى؛ لتدخين المعسل وللاستماع لي، هذا المضحك الذي يسرد حكاويه اليومية المضحكة قبل أن "يستلم" أحد رواد المقهى ويبدأ

www.ibtesama.com/vb

في السخرية منه، من شكله، من طريقة كلامه، من أسراره التي يعلمها الجميع.

حتى إن البعض كان يأتي من حارات أخرى للجلوس في هذا المقهى لاختلاس السمع والضحك، بالرغم من أن مشاريب القهوة لها طعم أسوأ من طعم الدواء، وشيشتها تجعلك تشعر كإنك تسحب أنفاسك من شكمان سيارة قديمة قاربت على الهلاك التام.

كان لي صديق قديم، كان هذا الصديق يحبني جدا، ويكنُّ لي ولاءً كبيراً، حتى وإن كان دائما الخامة الخصبة لسخريتي، كنا ندرس سويا طوال عمرنا، كان يذاكر لي، يحلُّ لي واجباتي، يغشُّني في الامتحانات، وعندما كنا نلعب الكرة، ويأتي الدور عليَّ لأقف حارساً للمرمى كان يقف الصديق مكاني، عندما كنت أتجاهل إحدى حبيباتي القديمات كان الصديق هو من يُقنعها أنني تركتها لأهم الأسباب وأنني ضحَّيت بقلبي وحبي لمصلحتها فقط، بينما كنت أتركها ببساطة؛ لأنني وجدت مَن هي أجمل أو اغنى أو ببساطة أجدد.

لم يكن الصديق يحزن عندما كان يرى الانبهار في أعين الفتيات متجها إليَّ، كان يعلم أنني أتفوَّق عليه في كل شيء، فما الذي به ليكون مبهراً لأي أحد؟ إنه بدين بعض الشيء، شعره أجعد، قليل الثقة في نفسه إلى

www.ibtesama.com/vb

أحد يلحظه أي كفيف، يكفي أن تسمع كلامه لتلاحظ بطأه في ردوده أو تلعثمه في كلماته عندما يحاول أن يدافع عن نفسه خصوصا أمام سخرياتي الثقيلة عليه.

كبرنا، عملت كتاجر - كما كنت أقول عن نفسي - أو بالأصح كرجل مبيعات أو للدقة كمندوب مبيعات - كما كنت لا أحب أن أقول عن نفسي- كنت أجوب الشوارع بهذه البضائع الرخيصة، أحاول إقناع هذا وذاك أن الذي أحمله معي هو اكتشاف علمي مذهل ونادر ونفيس، وسعره "لقطة" و"مش هتلاقيه في أي حتة غير عندي!"، وكل هذا الكلام المعتاد، كنت أبيع أكثر من زملائي؛ بسبب خفة دمي النادرة ولباقتي اللافتة، ولكن في النهاية لم أكن أجني ما يكفي لسداد ديوني لصاحب المقهى الذي كان يتجاهل حسابه؛ لأنه يعتبرني نجمه الجاذب لمعظم رواد المقهى، ويعلم أنني إن غادرت سيضطرُّ لتحسين جودة مشاريبه، مما سيجعله يخسر الجلد والسقط.

غادر الصديق الحارة منذ زمن، كنت أعلم أن ألمه كبير، حيث إنني لم أكلّمه ولو مرة لأسأل عليه، ولم أردَّ حتى على مكالماته اللحوحة، وعندما كان يأتي ليجلس معي في المقهى كنت أعامله بفتور، كأنني أحاول التبرُّؤ من صداقته، فقطع اتصاله بي عندما أحسَّ بأنه سيكون عبئا علي، ومرَّ على هذا بعض السنين.

www.ibtesama.com/vb

في يوم حزين وكئيب ذهبت لعملي لأجد أن الشركة التي أسوِّق منتجاتها أفلست، وأنني الآن بدون عمل، دون شيء لأسوِّقه، وكنت أعلم صعوبة الحصول على عمل في هذا الزمن، كنت في حالة مزاجية سيئة جدا، أعلم أنه إذا رجعت الحارة سيكون المطلوب مني إضحاك أفواه تنتظر دعاباتي، فقرَّرت العودة لبيتي في وقت متأخر بعد أن تُخلو القهوة من روادها، فلا أقابلهم وأنا متَّجه لباب بيتي.

اشتريت علبة سجائر مستوردة بمنطق "ما هي بايظة بايظة"، وظللت أدخِّن الواحدة بعد الأخرى، وأنا أتمشَّى على النيل، ومعدَّل اكتئابي يعلو مع كل خطوة أسيرها بلا هدف.

توقَّفت ونظرت للسيرك، المكان الذي لم أدخله في حياتي قط، هل هناك ما يمكن أن يزيل اكتئابي في هذا المكان؟ قرَّرت أن أتجاهله، ولكن شيئا ما أثار انتباهي، صورة ممثل البانتوماين الموضوعة أمام السيرك، إنه يشبه صديقي القديم جدا، ربما إنه هو، نعم، هذا هو اسمه بالفعل، اشتريت تذكرة بما تبقى لي من مال، ودخلت القاعة التي تكاد تكون خالية من الجمهور، باستثناء بعض العائلات التي تحاول إبهاج أطفالها، أو بعض الأحبة الذين وجدوا في السيرك مكاناً للتسامر أفضل من الكافيتريات التي لها حد أدنى من الطلبات.

www.ibtesama.com/vb

لم أهتمَّ بعرض الأسد أو الفتاة التي تسير على الحبل، حتى مع رشاقة جسمها وجاذبيتها وجمال وجهها، وبعدها خرج أحدهم، يعلن بأسى عن إلغاء فقرة البهلوان، وأنه يعد ببهلوان جديد في غضون أسبوع من يومه، وقدَّم الرجل للجمهور ممثل البانتوماين، هنا أحبط الناس من عدم وجود البهلوان، غادر معظمهم، خرج ممثل البانتوماين ليقوم بحركاته المبهرة، المبهرة لمن يهتم بمتابعتها، ظللت أنظر إليه مبهوراً بما يفعله، ولكن دون أن يخلو وجهي من ابتسامة مفاجئة.. أو ساخرة.. ثم صفقت له مع المصفِّقين.

خرج لاعب البانتوماين - صديقي- من غرفته متجها إلى الشارع بعد أن سلَّم على كل من وجده، ويسأله عن عرضه، وكان الكلُّ يحمِّسه، ويقول له إن بدايته جيدة جدا، وإن له مستقبلاً باهراً، كان هذا يزيد من ثقته بنفسه ويفرحه، ويؤكد له أن اختياره ليكون ممثل بانتومايم كان قراراً صائباً سيجد فيه التقدير الذي لم يحصل عليه من قبل، وفي طريقه لمحطة الأتوبيس وجدني هناك، وجدته يقترب مني ويسلِّم عليَّ بحرارة ويعنِّفني على عدم اتصالي به منذ فترة، وعدم اطمئناني على صحَّته وعدم تعزيتي عندما توفيت والدته، ولكنني -كاذبا- كنت أحاول تذكيره بمكالماتي له، وأنني كنت بجانبه وقت الصلاة والدفن والعزاء الخاص بوالدته، ولكن بالطبع لم يتذكَّر شيئاً لم يحدث أصلا، وبعد بعض الكلام

www.ibtesama.com/vb

الذي لا وزن له، سألته في خبث: "هو السيرك صحيح عايز بهلوانات؟".

حاول الممثل بشتى الطرق إقناع مدير السيرك -الذي هو صاحبه- بي، شرح له موهبتي وتلقائيتي لكن مدير السيرك لم يقتنع، فمهنة البهلوان لا علاقة لها بخفة الدم وتحتاج الخبرة والتمرين، ولكن إلحاح الممثل على المدير جعله يوافق أن يجرّبني ويشاهدني -ولكن أمامه قبل أن أقدّم العرض.

لم أكن غبياً، كنت أعلم أن هذه المهنة ليست فقط خفة الدم، لذا عملت واجبي على أكمل وجه، ذهبت وحضرت كل عروض البهلوانات الأخرى، وسرقت بعضاً من حركاتهم التي أعجبت الجمهور، وعندما قمت بعرضي أمام مدير السيرك انبهر ولمحت لعابه يسيل من فرط انبهاره، وخصوصا عندما قلت له إنني مستعد أن أعمل بأجر زهيد، وأنني على أتم الاستعداد أن أعمل أول شهر دون أجر تماما، مما أغرى مدير السيرك، ووافق على تعييني لأكون تحت الاختبار.

سعد صديقي ممثل البانتوماين جدا بي، كان يظنُّ طبعا أنني صديق له سأتذكَّر هذا المعروف له، وأن هذا سيرجعنا صديقين ربما أكثر من الأول، وخصوصا أننا سنعمل سويا في نفس المكان، سريعا اشتركت معه

www.ibtesama.com/vb

في شقَّته على أن أدفع نصف الإيجار، ولكن بعد ما "ربنا يفرجها"، وكان سعيدا جدا لأن صديقه القديم سيونس وحدته، وظلّ يساعدني في تمريناتي ويحكي لي عن كل قصصه حتى وهو يعلم أنني أسمعه بنصف أذن، ولا أبالي كثيرا بقصصه، وكنت أسرح كثيرا في وسط هذه الحكاوي التي لا تهمني في شيء.

حكى لي عن الفتاة التي تمشي على الحبل، كيف إنه منجذب إليها، كيف يظنُّ أنها تنظر له بإعجاب، أكد لي أن هذه الفتاة هي التي كتبها الربُّ له، ولهذا كتب له الربُّ أن يتعلَّم البانتوماين وليعمل في ذلك السيرك، ليراها هناك، لكن بعد أن أنهى حكايته اكتشف أنني كنت سرحان في حركة جديدة أحاول إتقانها، وهنا سألته عن رأيه في الحركة، ولكنها لم تعجبه وقال لي: "ما تجرب تمثل إنك مُتَّ؟" فوجئت بهذه التفصيلة الغريبة، ولكنه شرح لي الفكرة، وقال لي إنه سيساعدني فيها، سأمثل أنني مُتّ، ويحاول هو إفاقتي وكلما يعطي لي ظهره أقوم أنا بحركات مضحكة، وعندما ينظر لي مجددا أكمل تمثيلية الموت وهكذا، طلبت منه أن نتدرَّب عليها ونتقنها في أسرع وقت.

تدرَّبنا جيدا على هذه الحركة، وفي يوم العرض كنت خائفاً، ولكنه طمأنني وأكد لي أن الجمهور سيحبُّها، ووعدني بأنني سأتذمَّر في يوم ما من كثرة حب الجمهور لها ولي، وأخذ يحكي لي عن مستقبل باهر

www.ibtesama.com/vb

ينتظرني كأفضل وأشهر بهلوان في تاريخ السيرك، كلامه طمأنني فعلا وأعطاني الحماسة اللازمة لإبهار الجمهور، وعندما بدأت أول حركاتي لم يضحك الجمهور، لم يفهم الدعابة في البداية، مما أقلقني كثيرا، تسارعت ضربات قلبي، وبدأت أتصبب عرقا لكنه همس لي في أذني "أول ما ألفّ اديني على قفايا" وقمت بعمل ذلك فعلا، لأقتنص أول ضحكة من الجمهور، وكانت أول ضحكة السبب وراء انهيار الجسر الذي كان يحجز ضحكات الجمهور التي توالت كفيضان، قبل أن يبدأ بتصفيق عالٍ هزّ أركان المسرح، فوقّفت وأعطيت صديقي على قفاه مرة أخرى، وأنا أحيي الجمهور ثم نظر إليّ بخوف، لكنه لم يكن يدري سبباً واضحاً لخوفه وقتها.

كان الزمن أسرع منا، لم يعلم أحد منا كيف ومتى زادت شهرة العرض لهذه الدرجة، ذهبت للمسرح في يوم لأجد الطوابير أمام شباك التذاكر الذي كان بيتا للعنكبوت، وكان موظّفه ينام فيه بين مهنتيه الأخرين، وكانت لوحة دعاية عرض البهلوان الميت تكبر كل يوم، كانت تكبر مع صورة البهلوان، وكل يوم يمر تصغر صورة صديقي فيها بطبيعة الأمر.

لا أدري متى أصبحت أنا والمدير صديقين، متى أصبح يدعوني إلى عيد ميلاد بنته وينسى صديقي -أو يتجاهله- هل كان هذا لأنه كان يجدني دائما أمتدحه وأقول له كيف أن نجاح العرض هذا بسبب تنظيمه وذكائه

www.ibtesama.com/vb

الدعائي؟ لكنه لم يحزن؛ لأنه كان مؤمناً بأنني لست مرائياً أو منافقاً ولا "مصلحجياً" كما بدأ البعض من الزملاء بالتلسين عليَّ، فأنا لست مثلهم، هو يعرفني جيدا.

عندما دخلت على فتاة الحبل قبل عرضها غرفتها لم أدخل لأمتدح عرضها كما كنت أدَّعي؛ لأنني لم أشاهده من قبل باهتمام كما كنت أحكي لها، لكن كان هذا مفتاح الكلام الذي أريد أن أقوله بين السطور، هنا بدأت هي في امتداح عرضي أيضا وخفة دمي، خصوصا الأفكار التي خلف الدعابات، حكيت لها عن سهر الليالي الذي أسهره لآتي بهذه الأفكار، بدأت بسرد قصة حياتي لها، قصة حياتي المزيفة التي تطمونها، كانت أول مرة أوَلفها وقتها، ضحكت طوال كلامي، كنت أريد أن أوصل لها معلومات معينة، معلومات عن كفاحي وعصاميتي، كنت أبهرها، كنت أقول لها كل هذا الكلام؛ لأنني كنت أريد أن أتقرَّب منها، خصوصا عندما أدركت أنني كلما جلست مقتربا منها لا تبتعد هي، ثم صمتنا لثوانٍ فباغتتني قائلة: "إنت عارف إني بامشي على الحبل؟ طوالي؟ مابحبش اللفّ والدوران؟ لو لفّيت أو درت أقع"، فلم أظهر مفاجأتي وفاجأتها أنا بقولي: "ومين قال لك إني عايز ألفك، مش يمكن عايزك تقعي؟ وألفك أنا؟"، ابتسمت لي.. ابتسامة ذات معنى.. أنها على وشك الوقوع في شباكي فعلا.

www.ibtesama.com/vb

كان صديقي ممثل البانتوماين يقوم بعرضه الذي بدأ يملُّه هذا الجمهور العريض الذي أتى خصيصا لمشاهدتي، حتى وإن كان يقوم به بضمير لا يوصف، وبعد أن قام بتحسينه أكثر من مرة، لكنه كان يسمع صوت الجمهور وهو يتكلَّم، يسمع صوت بائع السجائر والحلوى وهو يمر على الجمهور ويعرض بضاعته بصوت عالٍ، كان يجد أحدهم نائماً هنا أو هناك، اثنين من الأحبة يداعبان بعضهما على استحياء، لكنه لم ينزعج، كان يعلم أنهم في يوم ما سيقدِّرون، كان على يقين من ذلك، ولكن ما صعقه هو هاذان الحبيبان، يداعبان بعضهما بقليل من السرية، ما صعقه كون هاذين الحبيبين هما فتاة الحبل وصديقه القديم.. أنا.

كنت ألفُّ يدي حول وسطها وهي تطعمني بعض الفيشار في فمي، لم ننظر إليه، لكنه كان يتابعنا، بدموعه وحركاته التي أحسُّ لأول مرة أنها دون معنى، ما معنى أن تتخيَّل ما ليس موجودا؟ أن تتلمَّس حوائط وأجساما غير مرئية أو موجودة، لماذا يحسُّ بها إذن؟ أم هذه هي شخصيته؟ الإحساس بما يصنعه تخيُّله وما لم ولن يكون؟

أنهى فقرته في منتصفها، مما استعجب له المقدِّم، وهرعت الفتاة لتغيِّر ملابسها وتبدأ عرضها، ومرَّت أمامه فنظر لها ونظرت له، سألته عن سبب إنهائه لعرضه في وقت أقصر من وقته، ردَّ عليها قائلا: "الهوا

www.ibtesama.com/vb

ماعادش فيه حاجة تتلمس"، فلم تفهم قصده، وتركته لتغيِّر ملابسها.

غيَّر ملابسه وهو في قمة ألمه ليبدأ فقرته معي، ويلعب دوره الدائم بها، كمجرد سنِّيد لي، إنه لم يرتقِ لمرتبة البهلوان، إنه ما يسخر منه البهلوان، البهلوان الذي أصبح لا يسخر منه البشر بل مستعدون أن يسخر هو منهم.

بدأت الفقرة، ظلّ يتأمل نفسه، لأول مرة أحسَّ بأنه مجرد أداة في يدي، ولأول مرة أحسَّ بأنه مهان.

كان العرض رائعاً بحق، كان الناس يضحكون بشدة، وكنت في قمة تألقي وسعادتي، تلقَّيت التحية الأخيرة وأنا في قمة فخري ونجاحي، خرجنا لنجد مدير المسرح يستوقفنا، واجهني المدير بخبر سمعه، سألني إن كان خبر تعاقدي مع سيرك آخر حقيقي، بكل ثقة أجبته أن هذا صحيح، تعجَّب المدير كما تعجَّب الممثل، سألني المدير "والعقد اللي بيننا؟" كان ردِّي التلقائي: "العقد أبرمه وحطُّه في اي حتة تعجبك، او اقولك حطه في أي حتة في أخينا ده"، وأشرت للممثل الذي كان يظنُّ أنني صديقه، ولم يكن مصدقاً ما يسمعه وما يراه، اتَّجهت لغرفتي فدخل الممثل خلفي، وسألني كيف أخذت هذا القرار من دونه، فسألته لماذا آخذ رأيه وأنا ذاهب وحدي، وهنا حاول الممثل -لأول مرة- الاعتراض وقال لي: "بس

www.ibtesama.com/vb

العرض ده فكرتي"، وهنا صُعِقت وتقرَّبت منه: "إنت اللي بتقول كده؟ مش كفاية أخدتك وشهرتك معايا؟ كمان عايز تنسب الفكرة ليك؟"، صُعِق الممثل، ولكنني أكملت بغضب: "هي دي غلطتي، طول عمرك بتحقد عليَّ وعلى نجاحي بسبب فشلك، لدرجة إن كمان بيتهيألك إنك سبب نجاحي، ناسي لما كنا قاعدين وطلعت أنا بالفكرة، وإنت اتحايلت عليَّ تطلع معايا فيها؟"، وهنا بدأ الممثل يتذكَّر الواقعة، هل تخيَّل هو فعلا ما يعتقده كما يتخيَّل الحوائط الغير موجودة؟ لأنني قلت هذا الكلام بمنتهى الصدق، كنت صادقا وقتها، كذبت الكذبة إلى أن صدَّقتها، ولكن جزءاً صغيراً من قلبي كان يدرك كم كنت كاذباً.

تركت السيرك، كما تركه الممثل بعد أن قرَّر أن يترك مهنة البانتوماين، وقرر أن يعمل كنادل في أحد المطاعم، وبدأت حالة السيرك في التردِّي، وفي يوم وفتاة الحبل تمشي عليه، سرحت، سرحت فيَ، في البهلوان الذي لا يكلِّمها ولا يردُّ على مكالماتها له بعد أن ترك السيرك، سرحت فيَّ وأنا أداعبها وأبتسم لها، وهنا وقعت، لم تدرِ إن كانت أوقعت نفسها عن عمد أم كانت حادثة، وقعت وهي تتذكَّر كلماتي لها "مش يمكن عايزك تقعي؟ وألقفك أنا؟"، ولكني بالطبع لم ألقفها ولم تلقفها الشبكة الردينة، ووقعت علي الأرض الصلبة، ولم تشعر بألم، فقط بالسواد يغطي عينيها.

www.ibtesama.com/vb

في المستشفى جلس بجانبها الممثل الذي يحكي لها كيف أنني لم آتِ لها بسبب انكسار قلبي، وأنني كلّمته وبكيت له، وظللت أبكي وساظل أبكي، وأنني لن أستطيع رؤيتها في هذه الحالة، وأعطاها باقة من الورد وقال لها إنها مني، ابتسمت هي وقالت له: "جبتها بكام؟"، فظلّ يحلف لها إنها مني، وأراها خطي على البطاقة التي تقول لها: "سلامتك، بحبك" لم تصدّقه، ولكنها اصطنعت أنها تصدّقه حتى يكفّ عن الحلفان الكاذب، وابتسمت له وطمأنته، وحاول هو التماسك والابتسام لها ليهون عليها قبل أن يقول لها الأطباء الأخبار التي يعلمها هو ولا يقدر على قولها، خرج ووقف جانب الغرفة وسمع الأطباء وهم يواجهونها بالحقيقة، حقيقة أنها لن تسير مجددا، لا على الحبل ولا على الهواء ولا على الأرض، لم تبكِ هي، صمتت من الصدمة، عكس الممثل؛ لأنه ظلّ يبكي في طرقات المستشفى، وظلّ كل المارة يربّتون عليه بشفقة ويقولون له "البقاء لله".

عشت وقتها أحلى وأسرع أيام حياتي، عشت بين عروضي، وبين الجمهور الذي أصبح يسبّب لي الإزعاج، ولم أعد قادرا بسببه على السير في الشارع أو الجلوس في مطعم بعد أن رأى الجمهور وجهي الحقيقي مرات في التلفاز والصحف، دون المكياج الذي أضعه في عروضي، أصبحت ضيفاً دائماً في كل البرامج الشهيرة وعلى صفحات المجلات وأنا أعانق الجميلات في كل الحفلات المهمة، أصبحت الدنيا

www.ibtesama.com/vb

أسرع مني، لم أكن أتذكَّر ما أفعله بالأمس ولا أخطط للغد، أكاد أجزم بأن إحساس النجاح أهم من الأكل والشرب والجنس، إلى أن قررت أن أكبر بموهبتي، وهنا أنشأت (مدينة البهلوان)، ليست سيركاً فقط، لكن معها ملاهٍ ومسرح وسينمات ومركز تجاري يبيع كل الألعاب التي على شكلي، ليصبح السياح والزوار الأجانب والأشقاء العرب يزورونها قبل الأهرامات، لتصبح تذكرة عرض البهلوان الميِّت أغلى من المبيت في غرفة في فندق سبع نجوم، لهذا قمت ببناء أكبر مسرح في المنطقة؛ ليستوعب أكبر عدد من الجمهور بعد أن أخذت قرضاً كبيراً بسهولة من أكبر البنوك.

في يوم الافتتاح الذي كانت تُباع تذاكره في السوق السوداء، كان المسرح مليئاً عن آخره، كنت أعلم أن عدد الجمهور سيكون عشرة أضعاف أي عدد وقفت أمامه من قبل، وخرجت لهم في قمة الثقة، ونظرت إليهم، وهنا أحسست لأول مرة بإحساس ما، فجأة استوعبت أن هذا الجمهور بشر.. وهؤلاء البشر وحبهم لي ما يبقيني غنياً ومهماً ومشهوراً.. وأن هذا الحب قد ينتهي، هذا الانبهار قد يختفي في أي وقت، قد يملُّون منه في أي يوم، قد يقررون بين ليلة وضحاها أن دمي أصبح "سمّ على قلبهم"، هنا خفت، لأول مرة خفت من الجمهور، بعد كل هذا النجاح، في لحظة وجدت نفسي ثابتاً، لا أقدر على الحراك، أعرق، بدأت أسمع صوت دقات قلبي، بدأ البهلوانات المساعدين

www.ibtesama.com/vb

بحركاتهم، هنا حاولت أن أبدأ مجددا، تداركت نفسي وأنهيت العرض بمستوى متوسط، سمعت التصفيق المحبط كنت في حالة من الاهتزاز النفسي يرثى لها.

كان خوفي على مسرحي الجديد كابوسي الجديد، ظللت أحلم بهذا الكابوس يوميا، أحلم في يوم أن الجمهور لا يضحك، أحلم في يوم بعده أن الجمهور يسبُّني، تطوَّر الموضوع لأجد حجمي ضئيلاً جدا في الحلم، وأن الجمهور عبارة عن أشخاص عملاقة كالغيلان ينظرون نظرات شريرة إلى أن يأخذني أحدهم، ويبدأ بوضعي في فمه ويأكلني.

لم أعد قادرا على مواجهة الجمهور، وظللت أؤجل عروضي، إلى أن أتى لي مدير أعمالي وقال لي إنه يجب أن أرجع لأقدّم عروضي؛ لأن عروضي هي التي تجذب الجمهور، وتأتي بأكبر نسبة من الربح، وأن علينا ديوناً للبنك إن لم نسددها سنكون في أزمة كبيرة، هنا حددنا ميعاد العرض القادم، لكن خوفي كان يكبر كل يوم.

قبل يوم من العرض رأيت في منامي أسوأ حلم، كان الجمهور مكوَّنا من مدير المسرح وفتاة الحبل وممثل البانتوماين، كل منهم مستنسخ منه المئات، المئات من المدير والفتاة والممثل، موزَّعون يملأون القاعة، نسخ كثيرة من كل منهم، وعندما تكلم المدير تكلَّم كل المديرين معه

www.ibtesama.com/vb

ليقولوا بصوت مجمَّع عملاق: "يا نصَّاب"، وصاحت كل الفتيات: كذَّاب"، وكل الممثلين: "يا حرامي، يا اللي سرقت أفكاري، هتموت، أنا هاموتك، الجمهور هيموتك، ولا أقولك، أنا هاحرقك، عينة من اللي هتشوفه في جهنم"، وظلوا جميعا يضحكون في شماتة.

استيقظت على هاتفي الذي كان يرنُّ دون توقُّف، سمعت صوت مدير أعمالي وهو يصرخ "السيرك اتحرق، ولع، رحنا في داهية".

ذهبت لبيت الممثل وأنا برداء النوم، طرقت بابه إلى أن فتح لي، فلكمته وأمسكت به وقلت: "إنت السبب، حسدك وكرهك ليَّ هو السبب، ولا إنت أكيد عامل لي عمل، ولا إنت اللي حرقتني؟ اتكلم.. أنا هاوديك في داهية".. لم يتكلَّم الممثِّل من فرط المفاجأة، وهرعت فتاة الحبل لترى ما يحدث، خرجت من غرفة النوم، على كرسيها المتحرِّك، وهنا انفجرت صائحا من فرط المفاجأة: "اتجوزتوا؟ ولا مرافقاه؟ تتحرقوا بجاز، بس مالكوش دعوة بيَّ" تركتهم وغادرت، هنا اقتربت الفتاة من الممثل زوجها، داعبت شعره لتهوِّن عليه ما حدث، وهنا حاول أن يطمئنها مجددا "أنا كويس، كويس قوي".

www.ibtesama.com/vb

أقنعني مدير أعمالي بأنه يجب أن أقوم بسلسلة من العروض المستمرة لنحصل علي المال الكافي لتغطية ديوننا، وأننا إن لم نفعل ذلك سيكون عرضي القادم في السجن بين القضبان، لأقوم بعرضي وقتها أمام السجناء المكبوتين جنسيا.. وأنني سأضطر أن أقوم لهم بعروض أخرى لم أتدرَّب عليها من قبل!

حاولت جاهدا السيطرة على مشاعري، حاولت الصلاة لكني لم أشعر بتحسُّن، حاولت اللجوء إلى الطبيب النفسي فجُننت أكثر، حاولت اليوجا، حاولت أن أكلِّم نفسي لأهدئ من روعها، لكن الحلم لم يختفِ، يأتيني الممثل في أحلامي ليحرقني مرة ويأكلني مرة ويقتلني مرة.

نصحني الطبيب النفسي بأن أقوم بعرضي دون جمهور، وأن أتخيَّلهم كأنهم حاضرون، حتى أجرِّب الوقوف على المسرح مجددا، وقال لي أن أرتدي كما أرتدي، وأضع مكياجي كالعادة وأمثل أمام الكراسي الخالية كأنها مليئة.

وضعت مكياج البهلوان بنفسي ودخلت المسرح وحاولت القيام بالعرض، ونجحت، قمت بعرض مذهل أمام الكراسي الخالية، أحسست بأن ثقتي بنفسي رجعت لي في لحظة، لكن مفاجأة أخرى باغتتني، عندما حاولت أن أنزع المكياج.. لم يُنزع، بكل المحاليل وبالماء وبالجاز وبشتى

www.ibtesama.com/vb

الطرق.. لم يُنزع، من المؤكد أن هناك من بدَّل المكياج المعتاد بمكياج آخر لا يُنزع.

هلعت وصرخت وحاول الجميع تهدئتي، لكنني لم أهدأ، ذهبت إلى الطبيب الذي أكَّد لي أن نزع المكياج أصبح مستحيلاً، واقترح لي أن أحاول التكيُّف على الحياة به، وأعطاني رقم طبيب نفسي صديقه.

سرت في الشارع والناس تضحك عليَّ، قُدت سيارتي ليوقفني كل ضباط المرور ولا يتركني أي منهم حتى يسمع الحكاية كاملة، حاولت أن أخبِّئ وجهي لكن ذلك لم يرحمني من تعليقات الناس ولا من رشق العيال لي بالطوب.

رجعت بيتي لأجد محضراً من الشرطة يطلب مني أن أذهب للقسم غدا ليأخذوا بصماتي، سألت عن السبب، لكن المحضر لم يكن على علم بشيء، فقط قال لي: "كل سنة وإنت طيب يا باشا".

دخلت غرفتي، نظرت للمرآة في الدولاب، لأرى وجهي كبهلوان للأبد، هنا أمسكت بأول شيء وجدته ورميته على الزجاج لينكسر، وجدت داخل الدولاب أشياء لا أتذكَّر متى وضعتها في هذا المكان، أوعية بنزين كبيرة خالية، ما الذي أتى بها هنا؟ هنا تذكَّرت كل شيء في لحظة، أتت لي

www.ibtesama.com/vb

ذكرى وأنا أحرق مدينتي، ذكرى أخرى وأنا أشتري المكياج الذي لن ينزع مع تحذيرات البائع لي، هنا صرخت: "إنتم عايزين تجنّنوني، أنا ماعملتش كده، أنا ماحرقتش حاجة، مش أنا اللي حطيت المكياج".. وقعت علي الأرض وأنا أصرخ.

فتحت عيني لأجد نفسي في المستشفى أمام مدير أعمالي، هنا واجهني بالحقيقة المؤلمة، اليوم أول حفلة، إن لم أذهب، سأبيت اليوم في القسم، لكنني طمأنته، قلت له إنني سأذهب وإنني أصبحت أحسن، فتعجَّب مدير أعمالي، شكلي كان لا يدل على قولي، هنا قمت وقلت له "يلا بينا".

ارتديت بذلتي، نظرت لنفسي في المرآة، للحظة أتت لي فكرة: "هل هذا البهلوان هو أنا الحقيقي، وشخصيتي القديمة هي الشخصية التي اصطنعتها؟ هل هذا هو وجهي الحقيقي ووجهي القديم هو الذي كان مكياج؟" سرحت في هذه الفكرة إلى أن بدأت بسماع صوت الجمهور ينادي عليّ.

دخلت المسرح وأنا أسمع صوت دقات قلبي فقط، لا صوت للجمهور وتصفيقه، لا صوت للهواء أو للموسيقى المصاحبة له، فقط صوت قلبي.

www.ibtesama.com/vb

الجمهور يصفِّق أكثر، لقد افتقدتموني، هذا أول عرض أقدّمه لكم بعد ما حدث لوجهي، وبعد أن أصبح ما حدث لي خبر الساعة.

لكن صوت قلبي يعلو أكثر.. وأكثر، إلى أن وقعت على الأرض، فرحتم أنتم، ظننتموها دعابتي الشهيرة، هنا بدأت الرؤية عندي في التلاشي، لكن قبل أن تتلاشى، توقَّف صوت قلبي، لم أسمع وقتها شيئا سوى صوت التصفيق الحار.

بسبب هذا الصوت سردت لكم حكايتي قبل أن أغادر.

كشكر وامتنان.

لهذا الصوت الجميل.

أعلى صوت تصفيق سمعته في حياتي.

محبوبكم /

البهلوان.

www.ibtesama.com/vb

رسالـــة وداع

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

عزيزي القارئ..

إن كنت وصلت لهنا بقراءة ما سبق لا بسبب فرك صفحات الكتاب فأنت تستحقُّ الشكر.

شكر عميق ومستحق لكل من اهتمَّ بقراءة هذا الكتاب إن كان بشرائه أو استعارته أو حتى بسرقته!

أكرِّر إهدائي لهذا الكتاب المتواضع لكل من حاولوا كرهي ونجحوا، وكل من حاولت أن أحبِّهم وفشلت.

لأنهم من استوحيت منهم معظم هذه القصص.

المخلص دائما /

الكاتب.

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

www.amrsalama.com

info@amrsalama.com

www.ibtesama.com/vb

صديقنا قارئ هذا الكتاب

قبل أن تغلق الكتاب دعنا نتفق على عدة أشياء، واثقون من أنها سترضيك.. دعنا نتفق على أن القراءة درّة أنعم الله بها علينا، ووهبنا إياها، تلك اللذة المميزة - والتي لم يمنحها للبعض- وهي لذة الاستمتاع بالقراءة.. نحن نقرأ ونتعلم، نقرأ ونُخَبِّر حكايات الآخرين، نقرأ ونختصر خبرات العالم في بضع صفحات،نقرأ ونتفق، نقرأ ونختلف، نقرأ ونقرأ ونقرأ... لكن الأكيد! أننا نقرأ ونستمتع ..

لذلك ،،،
لا تدع تلك اللذّة النادرة تقف عندك، لا تدع هذا الكتاب يتوقّف بين يديك - بعد الانتهاء منه - فهناك الكثيرون ممن لم يقرأوه، أو لا يمتلكون ثمنه، أو من لم يسمعوا عن هذا الكتاب.. خبّرهم عن تلك اللذة الشيقة، والمتعة النادرة التي لا يعلمونها. مرِّر هذا الكتاب إلى أهل بيتك، صديقك، جارك، زميلك في العمل، أو حتى شخص ما في المواصلات العامة لم تره من قبل!

كن سبيلا في إسعاد الآخرين بهذا الكتاب، ولا تتعجّب عندما تجد كتاباً لم تقرأه من قبل يأتيك من أحدهم وهو يخبرك بدوره عن متعة القراءة بعد ذلك بحين من الزمن.

دَارْ دَوِّنْ

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

www.ibtesama.com

**

إنها تلك الكلمات التي قلتها بصوت خافت خوفا من أن تُسمَع. أو أوقفتها في حلقك خوفا من أن تفلت. أو دارت في أروقة عقلك سجينة حتى لا تهرب إلى فمك.

إنه هذا الأسف الذي تعارك مع كرامتك لتنتصر هي عليه في النهاية. وتحبسه في زنزانة ألقت بمفتاح قفلها بعيدا باسم الكبرياء وحفظ ماء الوجه.

الصرخة التي تمنَّيت ليل نهار أن تصرخها في أزحم الميادين. لكن غلبك خوفك الذي أسميته حرصا. واتَّهمت شجاعتك برميك في التهلكة.

مقدار حبك الذي خجلت من وصفه. ومقدار كرهك الذي لم تجد جدوى من شرحه.

طلب أو رجاء لم تحْنِ قامتك لطلبه. فعشت مرفوع الرأس. لكن كَلَوْح خشب لا يلين ولا يفرح.

الورقة البيضاء التي لم تستطع أصابعك إمساك القلم لسطر مشاعرك بها. وإن انتصرت على نفسك ونُحتَ ما في قلبك على سطورها طبّقتها واعتبرتها رسالة لن ترسل وإن رُسلت... أنت تعلم جيداً أنها ستُرَد للمُرسِل

دون

Exclusive
For
www.ibtesama.com